الأمراض والأوبئة في مصر وجهود الفرنسيين لمقاومتها
(١٧٩٨ - ١٨٠١م)

دكتور/ محمد عبد الحميد الحناوي
كلية الآداب – جامعة أسيوط

مقدمة

كانت الحالة الصحية في مصر في أواخر القرن الثامن عشر قبل مجئ الحملة الفرنسية بسنوات طويلة غاية في التدهور والسوء ؛ فالأمراض والأوبئة تنشر في طول البلاد وعرضها بين الحين والآخر تفتك بالمصريين ، والحكام مشغولون عن مقاومتها بالتنافس فيما بينهم للوصول إلي الحكم ، كما أن البمارستانات القليلة الموجودة بالقاهرة لا تفي بالغرض في استقبال المرضى من أنحاء البلاد بمدنها وقراها بما ينتشر فيها من أمراض وما تتعرض له من أوبئة باستمرار ، ولم يكن أمام المصريين سوي اللجوء إلي المشعوذين والدجاليين طلباً للعلاج بما صاحبه من مظاهر التخلف الواضحة . وظال الأمر كذلك حتي مجئ الحملة الفرنسية عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م بقيادة نابليون بونابرت الذي اصطحب معه فريقاً بارعا من الأطباء علي رأسه الطبيب ديجينت Désgénettes والجراح لاري Larrey ؛ فقام هذا الفريق منذ أن وطأت أقدامهم أرض البلاد بجهود عظيمة وفائقة في مقاومة الطاعون والأمراض المتفشية في البلاد ، وبذل المحاولات لتشخيص تلك الأوبئة والأمراض وعلاجها واهتمامهم بتحسين الحالة الصحية للجنود الفرنسيين وما صاحبه من إنشاء المستشفيات العسكرية والمحاجر ، ولقد انعكست هذه الجهود وتلك الاهتمامات علي المصريين الذين سمح لهم بالتردد علي المستشفيات الفرنسية والتزود بالتعليمات والأوامر الصادرة عن قيادة الجيش لعدم تفشي الأمراض فيما بينهم وبالتالي الحفاظ علي صحة جنود الحملة .

ومن هذا المنطلق سوف نتعرف على أهم مظاهر الأحوال الصحية في مصر إبان هذه الفترة القصيرة من تاريخ مصر الحديث وجهود الفرنسيين لترقيتها والنهوض بها .

أولاً : الأمراض المتوطنة في مصر :

١- الرمد L' ophtalmie

الرمد من الأمراض القديمة التي توطنت مصر قبل مجيئ الفرنسيين بزمن طويل وبخاصة في الريف وقراه ، وكان سكان صعيد مصر يعانون منه أكثر من غيرهم ، فينشط بينهم كل عام في فترة الصيف حيث ترتفع درجة الحرارة وتكثر الأتربة بما يصاحبها من التهابات تصيب العين ، مع عدم اتباع أساليب النظافة إلى جانب تعود الأهالى على استخدام مياه الترع والقنوات غير النظيفة في حياتهم اليومية وغسل عيونهم منها (١) .

وقد وصفه الفرنسيون بأنه مرض " نشط جداً" ينتشر بسرعة بين السكان؛ فلم تسلم منه المدن المصرية كالقاهرة والإسكندرية ، أما المماليك والأجانب فهم أقل إصابة بهذا المرض . وكان من بين سكان القاهرة ٢٠ % عُمي Aveuglers ، ١٠% عورا Borgnes ، ٢٠% مصابون في أغلب الأحيان بالتهابات وصديد في عيونهم Purulents . حيث كان أقسى أنواع الرمد هو"الرمد الصديدى " المصحوب بتقيحات تصيب العين كما أن الكثير من المرضى يغطون عيونهم بعصابة من القماش لاحتقانها بالدماء ، ولا يحتاطون غالياً باستخدام وسائل العلاج ؛ متواكلين قائلين " إنها إرادة الله "(٢) .

وكان من أهم أسباب انتشار هذا المرض ونشاطه بين السكان هو الإهمال والتواكل الذي اعتاد عليه المصريون في اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهته ؛ فإن غالبية الأهالى وبخاصة داخل الريف المصري ينامون في ليالي الصيف دون غطاء ملتحفين السماء فتتأثر عيونهم برطوبة الجو والهواء البارد وقطرات الندى فيصابون بالتقيحات الصديدية Purulents مع شعور المرض بثقل وانتفاخ في الجفون وتوتر في مقلة

---

(١) وجيه علي أبو حمزة : القاهرة في عصر الحملة الفرنسية ١٧٩٨ – ١٨٠١م ، رسالة ماجستير لم تنشر ، كلية الآداب – جامعة المنيا ١٩٨١ ، ص ٦٠ .

(2) Volney, M.C.F,: Voyage en Syrie et en Egypte , pendant Les annees 1783, 1784,1785, paris, 3 em ed. Dugour et Durand Librairs, T. I, P. 212.
Désgénettes. R.N: Histoire Médicale de L' armée d' Orient, paris, T. I, pp. 15 – 17

العين وعسر في حركتها وألم شديد وأكلان وحرارة محرقة لاذعة بتأثر الضوء ويصحب ذلك احمرار في بياض العين وجفونها [١] ، مما يؤدي في النهاية إلى الإحساس بثقل المرض وربما تؤدي العادات السيئة في العلاج المصحوبة بالجهل إلى فقدان البصر نهائيا[٢] . وحتى النساء اللاتي كن يحفظن عيونهن ويخفونها بعناية يصابون بهذا المرض رغم ذلك[٣] وقد تسببت أساليب العلاج البدائية والإهمال وعدم الحيطة اللازمة إلى انتشار المرض واستقراره في البيئة المصرية المحاطة بالصحراوات من كل جانب حيث تهب الرياح المحملة بالرمال الناعمة على وادي النيل ودلتاه في أوقات متفرقة من العام وبخاصة في أيام الحسوم في شهر مارس ، والتقلبات المفاجئة في درجات الحرارة . كما أن المخلفات الآدمية والقاذورات التي تلقى في الشوارع وبين الكتل السكانية كانت تمثل حقلاً خصباً لتكاثر ميكروب المرض الذي ينقله الذباب من إنسان مريض إلى آخر سليم . ولم ينج الفرنسيون من التعرض لهذا المرض الذي لم يكن معروفاً لديهم في أوروبا وبخاصة الرمد الناشئ عن ارتداد الضوء أو تباين درجات الحرارة بشدة والذي يسبب لهم العمى المؤقت[٤] . وقد تأثر به الجنود العاملين بالخدمة أكثر من غيرهم وبخاصة خلال العمليات الحربية[٥] ، فقد أصيب به أكثر من ثلاثمائة جندي من قوات ديزيه أثناء الشهور الأولى من حملته على

---

(١) Désgénettes: op. cit, T. II, pp. 9 -16

(٢) Déscription de L' Egpyte .T.XVIII,2 em Paris, panckoucke,p .129 .

فوزي السيد السيد المصري : تاريخ الأوبئة والصحة العامة في مصر ١٨١٣ – ١٨٨٢م، رسالة دكتوراه لم تنشر – كلية الآداب – جامعة طنطا ، ١٩٨٩م ، ص ١٠ .

(٣) Thomas Walsh: journal of the Late campaign in Egypte , London ,1803, p.189.

ومما يلفت النظر أن أقسام مرضي العيون بالمستشفيات حتي الآن لا تزال يطلق عليها أقسام "الرمد"رغم أنه أحد الأمراض التي تصيب العيون وليس جميعها ؛ من إطلاق الجزء علي الكل لشهرته

(٤) هنرى لورانس ، وآخرون : الحملة الفرنسية فى مصر – بونابرت والإسلام ، ترجمة بشير السباعى ، القاهرة ، سيناء للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص ٢٩٦ .

Reybaud : Histoire Scièntifique et Militaire de L' Expédition FranÇaise en Egypte, paris, 1836,T.lV,p.108.

(٥) Thomas Walsh : journal ,op.cit , p . 189

مراد بك في الصعيد كما أصيب به جميع جراحي مستشفى الميدان المرافقين لهذه الحملة باستثناء كبيرهم لاري[١] .

ويرى أحد مؤرخي الحملة أن عدة آلاف من القوات الفرنسية قد فقدوا بصرهم في مصر أو أصيبوا بعجز بدني[٢] ، رغم أن الأطباء الفرنسيين تمكنوا من استخراج بعض التراكيب الكيميائية المستخلصة من الأعشاب لعلاج هذا المرض مع كمادات المياه الدافئة بالإضافة إلي استخدام بعض الملينات كالتمر هندى ، والمقويات، والقطرة ؛ مع تفادى تيارات الهواء والضوء الشديد على العين [٣] .

وقد استخدم المرضى المصريون طرقاً قديمة في العلاج باستخدام سلفات النحاس وهي من العقاقير المفيدة في علاج الرمد الحبيبي ، كما استخدموا الكحل وهو مزيج من آثار القصدير أو التوتيا الزرقاء وتستعمل على هيئة مسحوق دقيق ، وقد ظن البعض أن الكحل مفيد في حالة ضعف البصر[٤] ، كما أنهم استخدموا الششم الوارد إلى البلاد مع تجار القوافل الإفريقية [٥].

وقد نجح الأطباء الفرنسيون الذين أفرد لهم الجنرال بونابرت بيت حسن كاشف جركس لصناعة الكيماويات المستخدمة في الطب وأمدهم بالأدوات والآلات اللازمة

---

(١) ج . كريستوفر هيرولد : بونابرت فى مصر . ترجمة فؤاد اندراوس ، مراجعة محمد أنيس ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ ، ص ٢٤٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٠٠ .

(٣) فوزى السيد السيد المصرى : تاريخ الأوبئة .. ، مرجع سابق ، ص ١٠ .
Désgénettes : op. cit, T .II, PP. 10 – 16

(٤) عصمت محمد حسن : جوانب من الحياة الاجتماعية لمصر من خلال كتابات الجبرتى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ص ١٨٣-١٨٥ .

(٥) الششم هو بذور صغيرة مائلة إلى اللون الأسود تطحن فتصبح مسحوقاً أبيض يستخدم ظاهرياً فى علاج الرمد وقد استخدمه المصريون على الدوام .
Déscription de L' Egypte, op.cit T.XVIII , 2 em part, p. 284.

لاستخراج الأدوية والعقاقير لعلاج بعض الأمراض المنتشرة في مصر ، فى استخراج أدوية لعلاج الرمد من الأعشاب والنباتات الموجودة في البلاد(١) .

٢ – مرض الجدري La variole

كان مرض الجدري من أبشع الأمراض التي تنتشر في أنحاء البلاد المصرية منذ أمد بعيد ، وقد اعتقد الناس أن سبب الإصابة بالمرض هو " العين " أو " الحسد " فتهيأت التربة الخصبة لاستمراره وانتشاره بين عامة المصريين(٢) خاصة وأنه لم يكن يفلت من الإصابة به الأطفال في سني عمرهم المبكرة ، وإذا أصيب به الكبار فبمجرد شفائهم منه فإن آثار المرض تترك ندوباً عميقة واضحة علي جلودهم وتكون ظاهرة للعيان خاصة علي وجوههم(٣) .

وأهم أعراض المرض إصابة المريض بالتهاب حاد معد يظهر علي هيئة طفح جلدي بعد ثلاثة أو أربعة أيام من الإصابة ، وتظهر تقيحات علي سطح الجلد بعد أسبوع واحد يصحبها حمي شديدة ، ثم تجف الإلتهابات بمضي ثلاثة أسابيع تاركة خلفها ندوبا عميقة وصغيرة علي الجزء المصاب وخاصة علي الوجه والتي قد تمتد لأجزاء أخرى من جسد المصاب ، وربما يصاحب المرض بعض حالات الهياج العصبي عند المريض إذا طالت فترة المرض(٤) .

أما الأطباء الفرنسيون فقد قالوا بأن ميكروب المرض ينتقل من الأم إلي طفلها عن طريق لبن الرضاعة ، ونظراً لعدم وجود رعاية صحية للأطفال في مصر، فإنه عند مهاجمة الميكروب للطفل لا يجد أي مقاومة ، ولذلك فإن نسبة الوفيات بين

---

(١) فوزى السيد السيد المصرى : تاريخ تعليم الطب والمؤسسات الطبية فى مصر ١٨٢٧ – ١٨٨٢م ، رسالة ماجستير لم تنشر ، كلية الآداب – جامعة طنطا ، ١٩٨٦م ، ص ٦ .

(٢) volney :op.cit, T. I, p.224 .

(٣) Chabrol : Essai sur les moeurs des habitans de L' Egypte (Déscription de L'Egypte T.X VIII, Ier part. 2em ed .), paris 1821, panckoucke ,p.46.

(٤) فوزي السيد السيد المصري : تاريخ الأوبئة ... مرجع سابق ، ص ص ٧٥ – ٧٦ .

الأطفال بسبب هذا المرض عالية جداً [١] حيث بلغت نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة طفل سنوياً [٢] .

وقد اهتم علماء الحملة من الأطباء وعلي رأسهم الطبيب ديجنيت (١٧٦٢- ١٨٣٧) بدراسة الأمراض المنتشرة بين المصريين وطرق علاجها ؛ بإهدائها إلى أعضاء الديوان ؛ فيقول الجبرتي : " وفي شعبان سنة ١٢١٥هـ أرسل رئيس الأطباء الفرنساوي نسخاً من رسالة ألفها في علاج الجدري لأرباب الديوان لكل واحد نسخة علي سبيل المحبة والهدية ليتناقلها الناس ويستعملوا ما أشار إليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال ، فقبلوا منه ذلك وأرسلوا له جواباً شكراً له علي ذلك ....[٣] .

فقد رأي الأطباء الفرنسيون أن أساليب علاج المرض سهلة وبسيطة جداً أمام المصريين وذلك بأن يتناول المريض منذ الأيام الثلاثة الأولي من إصابته بالمرض الدَبس[٤] Raisiné ، والعسل ، والسكر وهي جميعها أغذية سكرية ، ومنذ اليوم السابع يتناول الأغذية التي تحتوي علي الكالسيوم مثل اللبن ، والسمك ، حتي يشعر بالتحسن التدريجي واسترداد عافيته ، وخلال هذه الفترة يحظر عليه غسل عينيه لعدم انتقال الميكروب إليها [٥].

كما استخدم في علاجه تناول المسهلات واستخدام الحمامات الفاترة وحمامات البخار ، وكي الجلد أحياناً بنترات الفضة أو محلولها المركز لعدم انتشار المرض علي باقي أجزاء الجسد . وكان هذا المرض يشابه في كثير من أعراضه مرض " الجرب " الذي كان يصيب أجزاء عديدة من الجسد المصاب باستثناء الوجه وفروة

---

(١) I bid ; p.46 .

(٢) محمد شاهين : حالة مصر الصحية في الوقت الحاضر ، بحث منشور ضمن حضارة مصر الحديثة ، القاهرة ، المطبعة العصرية ، ١٩٣٣ ، ص ١٠٣.

(٣) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج٢ ، دار الجيل ، بيروت ط ٢ ، ١٩٧٨ ، ص ٤٠٤ .

(٤) الدَبسُ : عسل التمر أو عسل النحل .

(٥) volney : op. cit , vol.I.p. 224.

٤- أبو الركب (حمى الدنج Dengue)

ومن الأمراض العارضة التي تحدث عنها الجبرتي وكانت موجودة قبيل مجيئ الحملة ، وتفشت بين الناس في أثناء وجودها ذلك المرض الذي كان منتشراً بين المصريين وأطلقوا عليه " أبو الركب " ، وكانت أهم مظاهره المرضية إصابة الشخص بالحمى لعدة أيام أشدها الثلاثة أيام الأولى من المرض ، ويصاب المريض بآلام في المفاصل ، والركب ، ولذلك أطلق عليه المصريون " أبو الركب " ، كما تصاب الأطراف بآلام ، وتتوقف حركة الأصابع ويحدث بها بعض الأورام ، ورغم شفاء الإنسان منه إلا أن أثر المرض يظل باقياً يعاني منه المريض لمدة أكثر من شهر ، إذ أن عودته محتملة في خلال هذه الفترة وعلى غفلة فيصاب الشخص بارتفاع درجة الحرارة مرة أخرى مصحوباً بآلام شديدة في الرأس والركب وقد وصفه الجبرتي بأنه : " ... من الحوادث الغريبة " وقد تفشى بالقاهرة وضواحيها بين الناس قاطبة حتى الأطفال قبيل مجئ الحملة بسنوات قليلة[١] .

ولم يرد ذكر انتشاره كالأمراض الأخرى في أنحاء البلاد المصرية المختلفة ، ولم يرد ذكره في المصادر الفرنسية إلا عارضاً ، فلم ينتشر بين الفرنسيين كما يحدث مع المصريين ، ولذلك لم يلق اهتمام الأطباء الفرنسيين مثل غيره من الأمراض .

٥- الإسقربوط La scorbut

وكما انتشر مرض أبو الركب " في مدينة القاهرة ؛ انتشر مرض آخر بصورة واضحة بين الجنود الفرنسيين من حامية مدينة الإسكندرية ، وقد كان موجوداً بين سكان الثغر قبل مجئ الفرنسيين ، ولكنه أصاب عدداً كبيراً من الجنود مما أزعج قادة الحامية العسكرية خاصة خلال فترة شهور الحصار البريطاني العثماني الثلاثة ، وقد أجمع الأطباء الفرنسيين أعضاء اللجنة الصحية بالمدينة على أن أسباب انتشار هذا المرض ترجع إلى نقص كميات الخضروات التي تقدم للجنود نتيجة الحصار

---

(١) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ١ ، ص ٥٣٨ ؛ وجيه على أبو حمزة : مرجع سابق ، ص ٦٢ .

المضروب من قبل أعدائهم وعدم توريدها من إقليم البحيرة المجاور للثغر ، مع نقص كميات الأغذية التي تساعد على مقاومة المرض ، ووجود الجنود في مناخ مشبع بالرطوبة ، داخل الإسكندرية في شهور ما بعد الصيف مع برودة ليلها ، والأبخرة المتصاعدة في الجو نتيجة تراكم القمامة في أنحاء أحيائها بدون استثناء مع ما يصاحبه من انبعاث غازات كريهة ، وساعد على ذلك انتشار مجاري المياة الراكدة والبرك والمستنقعات وسط الأحياء المختلفة ، ومحاصرة المدينة بلجة من المياة عندما أغرق الإنجليز منخفض بحيرة مريوط الجاف بالمياه بغية إحكام الحصار على المدينة من كل جانب وقد نجحوا في ذلك [١] .

ولقد بذل الأطباء الفرنسيون الكثير من الجهد للعمل على وقف انتشار المرض بين أفراد حاميتهم ومقاومته بكل السبل رغم تزايد أعداد المرضى يوماً بعد يوم خلال شهور صيف وخريف عام ١٨٠١م ، وهي الشهور الأخيرة للوجود الفرنسي في مصر ، ومن بين وسائل العلاج التي أشاروا بها قيامهم بحجز المرضى داخل مستشفيات المدينة وتوفير الأغذية المساعدة على العلاج[٢] والتي تنبه الأطباء إلى أهميتها في علاج تلك الحالات كالليمون، والبرتقال، والجوافة وغيرها من الموالح التي كانت متوفرة داخل " جناين " الثغر ، وفي " الغيطان" التي تتخلل الكتل السكنية بالمدينة [٣] .

---

(١) محفظة رقم (٣٢):فترتها التاريخية من١٨٠١/٣/١١- ١٨٠١/٩/٢م ،وثيقة مؤرخة في ٣٠ أغسطس ١٨٠١(١٢فركتيدور من السنة التاسعة للجمهورية)،وثائق الحملة الفرنسية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) المصدر نفسه ، والوثيقة .

(٣) سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة ، وثائق أرقام ٢٨٥، ٢٥٣ ، سجلات ١٠٩ ، ١١١ .

Déscription de L' Egypte, op.cit T.XVIII , 2 em part, pp.429 – 430 .

الرأس ، واستخدم مرهم الكبريت ، والاستحمام بالمياه المعدنية الكبريتية ، ومياه البحر في الشرب والاستحمام علاجاً لهذا المرض (١).

٣ – الدوسنتاريا la Dysentérie

كانت الدوسنتاريا من الأمراض التي تنتشر في أنحاء البلاد قبل مجئ الحملة لعدم اهتمام المصريين باتخاذ تدابير الوقاية الصحية وأساليب النظافة فيما يتعلق بالمأكولات مثل عدم غسل الخضراوات ؛ أو غسلها في مياه الترع والمياه الراكدة ، المسببة للمرض وكذلك تناول الأطعمة المعرضة للذباب والميكروبات المسببة للمرض ولم تكن الدوسنتاريا بنفس خطورة وباء الطاعون ولا تنتشر بسرعة مثله ، إذ أن آثار هذا المرض محدودة ولكنها تؤثر علي الأطفال الذين تعرضوا منهم لمرض الجدري فضعفت مناعتهم (٢) ، ومع ذلك فإن الدوسنتاريا كانت من الأمراض الباطنية المعروفة لدى المصريين في طول البلاد وعرضها سواء بين سكان القرى أو داخل المدن ذاتها .

وكانت الدوسنتاريا تقضى على مئات الآلاف من المصريين في أنحاء البلاد ؛ لانعدام الإجراءات الصحية للوقاية منها ، واعتمادهم على " وصفات " الحلاقين ، بالإضافة إلى ما كان يعتقد فيه الأهالى من تأثير الأحجبة ، والتمائم ، والرقى ، وإطلاق البخور ، والوصفات المتوارثة في علاج المرض(٣).

ومع بداية الاحتلال الفرنسي للبلاد لاحظ العلماء الفرنسيين أن شوارع مدينة الإسكندرية ضيقة جداً وحالتها سيئة وأغلب منازلها من الطين والقاذورات تملأ جنبات أحيائها وتنتشر فيها الكلاب الضالة مما يساعد على تفشى الأمراض(٤) .

---

(١) فوزي السيد السيد المصري : تاريخ الأوبئة .... مرجع سابق ، ص ص٧٦ ، ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) Larrey ,Le Baron , M,: Mémoire et observation sur plusieurs maladies qui ont affecté les troups de L' Armee franÇais pendant L' Expédition d' Egypte et de syrie, et qui sont endémiques dans ces deux contrées (Déscription de L' Egypte) T.XVIII ,2 em part , panckoucke , paris , 1821, pp. 359 – 360.

(٣) سمير عمر إبراهيم : الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ ، ص ١١٧ .

(٤) Reybaud:op.cit, T. 3. ,p.142.

وقد أصيب الجنود الفرنسيين بهذا المرض مع بداية احتلالهم للإسكندرية والبحيرة في شهر أغسطس ١٧٩٨[١] ومن أهم من مات من الفرنسيين جراء الإصابة بهذا المرض المستشرق فانتور Vanture كبير مترجمي الجيش ومستشار نابليون بونابرت في المسائل الشرقية[٢]،ولذلك صدر الأمر العسكري بإنشاء مستشفى بالرحمانية لرعاية الجنود المصابين بهذا المرض وغيره من الأمراض المنتشرة في مصر[٣] وقد استفحلت حالات الإصابة بهذا المرض بين الجنود الفرنسيين المرافقين للجنرال ديزيه Désaix في حملته على مراد بك بصعيد مصر[٤] .

ولعلاج هذا المرض استخدمت المطهرات في نظافة أماكن المرضى مع عدم السماح لهم بتناول الخضروات إلا بعد طهيها جيدا وتدفئة البطن بحزام من الصوف والعناية بمياه الشرب ومراعاة الشروط الصحية في المأكل والمشرب والملبس[٥].

كما أصيب به جنود إحدى الفرق العسكرية المرابطة بإقليم المنصورة، وأرجع الأطباء الفرنسيون أسباب إصابتهم به إلى ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة في فصل الصيف وتعاطى الخمر [٦] واستخدم الأطباء لعلاجهم المقيئات Acides والمليينات Evacuants ؛ مع الراحة ثم إعطاء المريض الراوند وملح حامض الطرطير Tartrite Acidule ؛ أو سلفات المانزيا ، مع كمية معينة من المخدرات Narcotiques ، وقد أتت هذه المحاولات الطبية ثمارها المرجوة مع الجنود [٧].

---

(١) De la jonquière : L'Expédition d' Egypte ,1798 – 1801 , paris , 1904, T .II , P .504.

(٢) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ،ج٢، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٢ ١٩٤٨ ، ص ١٠٤.

(٣) I bid , T.V, P. 449 .

(٤) ج . كرستوفر هيرولد :مرجع سابق ، ص ٢٤٦ .

(٥) فوزي السيد السيد المصري : تاريخ الأوبئة ..... مرجع سابق ، ص ١١٤ .

(٦) Désgénettes:op.cit,T.II.pp.21- 36 .

(٧) La Décade Egyptienne, No . 2 .

ثانياً : الأوبئة :

١- وباء الطاعون La peste

يقول علماء الحملة الفرنسية عن الطاعون أنه مرض تحول إلى وباء لكثرة تعرض السكان له وتكرار حدوثه واستيطانه البلاد المصرية في ظل وجود درجة حرارة متقاربة طوال فصول السنة الأربعة تقريباً ، وفي ظل سماء صافية تغسل الموجودات والأشياء كل صباح بالندى . وعلى الرغم من أن مصر لا تتعرض إلا لعدد قليل من الأمراض إلا أن هذه الأمراض رغم قلتها فإنها قاتلة في معظمها لحد يثير الفزع والخوف والجزع وعلى رأسها بلا شك وباء الطاعون ؛ الذي يندلع بين السكان على فترات متقاربة ، ونادراً ما ينقطع عن القاهرة والإسكندرية بصفة خاصة فبعد أن " ينكمش" بفعل الحرارة الشديدة أو برودة الشتاء القاسية فإنه يعود "ليتولد" من جديد وتعود إليه قواه المهلكة خلال فصل السنة الذي تميل فيه الحرارة للاعتدال وغالباً ما يكون فصلى الربيع والخريف .

ولقد أكد الفرنسيون على أن "تواكل" السكان واعتمادهم على الدجالين والمشعوذيين وكتاب الأحجبة والتعاويذ والخرافات[١] ، وطائفة الحلاقين الذين امتهنوا التطبيب دون علم أو دراية[٢]وعدم حيطتهم وسذاجتهم كانت من الأسباب الرئيسية لاستمرار الكوارث التي تحيط بهم وعلى رأسها ذلك الطاعون ؛ لذلك ينظرون إلى الاحتياطات التي لجأ إليها الفرنسيون لمنع انتشار الطاعون كأمور لا جدوى منها ؛ إذ أنهم لن يصابوا مطلقاً بأذى إذ كان مقدراً لهم أن يعيشوا ؛ كما أن شيئاً لا يمكن أن يحميهم إذا ما كانت مشيئة الله قد قررت لهم أن يموتوا[٣] دون أن يأخذوا بالأسباب المؤدية للعلاج .

ولعل كتابات عبد الرحمن الجبرتي في أواخر القرن الثامن عشر وفي أثناء التواجد الفرنسي في البلاد كشفت اللثام عن مظاهر هذا الوباء وأماكن انتشاره في البلاد

---

(١) فوزى السيد السيد المصرى : تاريخ الأوبئة ، مرجع سابق ، ص ٣ ، ٢٣ .

(٢) د . أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر (عصر محمد على) ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٨ ، ص ٢٥١.

(٣) Chabrol : op .cit , pp. 46 – 48 .

المصرية وأهم الأشخاص الذين أصيبوا به وماتوا بسببه ،على أن الكتابات الفرنسية ووثائق الحملة تعد المصدر الأساسي للتأريخ لهذا الوباء والإجراءات التي احتاط بها الفرنسيون من خلال لجنتهم الطبية للوقاية منه ومقاومته ؛ ومن أهم الوثائق التي يجب الرجوع إليها في هذا الصدد : مراسلات نابليون Correspondance de Napoleon وكليبر Kléber ، ومنو Ménou ، إلى جميع قياداتهم في مصر وبخاصة تلك المراسلات مع الجهات المعنية بالرعاية الطبية والصحية لقوات الاحتلال في أنحاء البلاد[١] .

كما تطالعنا المراسلات ووثائق الحملة سواء المنشور منها أم غير المنشور بالأوامر الصادرة من الجنرالات الثلاثة بشأن إجراءات الرعاية الصحية في البلاد والتي تهم قوات الاحتلال في المقام الأول ، إلى جانب المراسلات المتبادلة بين الأطباء الفرنسيين والإجراءات الواجب اتباعها لمواجهة الطاعون[٢]. ومن أهم الأطباء الفرنسيين الذين كتبوا عن الطاعون ديجنيت Désgénettes - رئيس أطباء الحملة في كتابه : التاريخ الطبي لجيش الشرق في مصر [٣].

أما الرحالة الفرنسي فولني Volney فإنه شارك التجار الفرنسيين المقيمين بثغر الإسكندرية والمصريين الرأي في أن الطاعون لا يأتي من داخل البلاد بل من خارجها كما ذكر فولني بأن أحد أطباء البندقية (فينسيا) أكد له بأن هذا المرض يأتي إلى مصر من بلاد اليونان والشام وبلاد البربر (المغرب) [٤].

ونادراً ما ينقطع هذا المرض عن مدينة الإسكندرية ، وقد أشاع بعض الناس بأن الطاعون منشؤه مصر ، ولكن هذا الإعتقاد بني على رأي منهم دون قرائن وبعيد عن الحقيقة كما تأكد لعلماء الحملة وفق دراساتهم وأبحاثهم فيما بعد .

---

(1) Thomas . G.Russell & other : Medicine in Egypt at the time of Napoleon Bonaparte , Net: Site : WWW . bmj .com. December 2006 , p.3 .

(2) Correspondance de Napoleon I er , Publiée par order de L' empereur Napoléon III, Paris ,1858 , Vol . IV Doc.No. 3909, p.282

(3) Vois : Dé sgénettes . R.N : Histoire Medicale de L' arme'e d' orient , Paris , 1802 .

(4) C.F .VoLney : op.cit , T. I , pp. 314 – 315 .

ويظهر المرض في البداية على سواحل الإسكندرية ثم ينتشر منها تجاه رشيد ودمياط ثم إلى القاهرة ، ويظل لفترة طويلة في الدلتا ثم ينتقل إلى صعيد البلاد .

وقد يأتي المرض عن طريق بعض السفن القادمة من أزمير واستانبول إذا كان المرض هناك شديداً خلال فصل الشتاء ، ونظراً لجهل التجار الأتراك بحقيقة المرض وعوامل انتشاره فإنهم يبيعون علناً أمتعة الموتى بسبب الوباء ، كما أن السفن الداخلة إلى الميناء تبيع الأصواف والفراء الحامل معه العدوى بأسواق المدينة مما يؤدي إلى انتشاره بسرعة كبيرة ، ويصبح الإغريق (اليونانيين) القائمين بهذه التجارة هم أول ضحاياه . وقبل مجئ الحملة بسنوات فطن التجار الأوربيون لأسباب سرعة انتشار الوباء فأصبحوا يغلقون أبواب حوانيتهم ومساكنهم ويعتزلون الأسواق ليقوا أنفسهم من أخطاره[١] .

وكان الوباء ينتشر كالهشيم في الحطب في أجواء فصلي الصيف والشتاء معتدلي الحرارة ، على عكس الحر الشديد أو البرد القارس فإنهما يحدان من خطورته، وكان الأهالى يعتقدون أن الوباء ينتقل عن طريق الإحتكاك والملامسة [٢].

ولعل كتابات الطبيب ديجنيت من أهم ما كتب عن تاريخ الأمراض في مصر إن لم يكن أهمها على الإطلاق مع فجر نهضتها الحديثة فقد وضع أسس علم الطب الحديث في مصر الذي بزغ مع بدايات عصر محمد علي ، وهو على رأس الأطباء البارعين الذين رافقوا حملة بونابرت على مصر ، وقد أحسن قائد الحملة اختياره معه ليرافقه ، فقد تولى ديجنيت إدارة عدة مستشفيات في باريس بعد دراسته للطب ، وقد مارس الطب كذلك في العاصمة البريطانية قبل عودته لبلاده واستقراره بها فترة ثورة بلاده ، وأصبح له دور بارز أثناء حروبها مع دول التحالف الدولي وأثبت مهارة فائقة في مجال الطب العسكري مما لفت نظر نابليون تجاهه وطلب منه مرافقته في مصر التي صارت أرضاً خصبة أمامه للبحث العلمي في مجال الطب الوبائي للمناطق

---

(١) I bid , pp. 314-315 .

(٢) Chabrol : op .cit , pp . 43-44 .

الحـــارة ، ولم ينس له بونابرت دوره الواضح في حملة سوريا لمقاومة هـــذا الوبـــاء الذي قضي على آمال القائد الفرنسي في احتلال بلاد الشام[١].

ولم يختلف الطب الحديث في تشخيصه لأعراض هذا الوباء القاتل عما جـــاء بالمصادر الفرنسية أو ما أورده مؤرخنا الجبرتي في كتاباتـــه ؛ فقـــد قـــال الأطبـــاء المعاصرون أن الطاعون وباء يحدث جراء إصابة الإنسان بميكروب ينتقل من الحيوان إلى الإنسان تسببه عضة الجرذان (الفئران) ، أو لدغة البراغيث الحاملة لهذا النـــوع من الميكروب الذي يخترق وبسرعة الجهاز اللمفاوي وتمنعه من أداء وظيفته المناعية في جسد الإنسان وتظهر الأعراض الخارجية للوباء متمثلة في ارتفاع شديد في درجة الحرارة وظهور الأورام في جميع أنحاء الجسد الذي تنهار مقاومته بسرعة مـــع مـــا يصاحب ذلك من ظهور " دمامل Cloues " وفي هذه الحالة يسمى بـــــ " الطـــاعون الدملي " وهو النوع الأول من الطاعون ؛ الذى تكون أهم مظـــاهره التهـــاب الإبـــط وتورمها إلى جانب الارتفاع الشديد في درجة الحرارة ، كما تظهر بثور متعددة علـــى جميع أنحاء الجسد المصاب ، وقد تتعرض الضحية للموت السريع بعد انخفاض نـــسبة السوائل بالجسد "الجفاف" وهبوط حاد في ضغط الدم وهو مـــا يعـــرف بالطـــاعون " التسممى أو الدموي " وهو النوع الثاني من الطاعون ويصاب به الإنسان فجأة فيفقـــده الإدراك والإحساس ويقع مصعوقاً ولذلك يطلق عليه أحياناً " الطاعون الصاعقى " لأن المريض به يلقى حتفه خلال يوم واحد من الإصابة به ، وإذا تمكن "فيروس" الوباء من أن يدلف إلى الرئة كان الموت سريعاً للمصاب[٢] ، وهو النوع الثالـــث الأشـــد فتكـــاً بالضحية ويعرف بالطاعون "الرئوى" وينتقل من الإنسان المصاب إلـــى الـــسليم عـــن طريق الرزاز وقلما يشفى منه المريض .

---

(١) Robert .K.D. Peterson : The Napoleonic Compaigns & Historical perception (plague& The Syrian campaign) , London , 1995 , pp . 152- 154 .

(٢) Désgénettes : op.cit II, pp.18-19 .

Sheldon Watts : Disease and Medicine in the world History , London , 2003, p . VI,Perface .

فوزى السيد السيد المصرى : تاريخ الأوبئة ، مرجع سابق ، ص ص ٢٣ – ٢٤ .

أما الفرنسيون فقد تأكد لهم أن المرض يأتي للبلاد المصرية من الخارج في غالب الأحيان وينتشر في الداخل بسبب التلامس والاحتكاك وعدم الوقاية الكافية ، ولا ينتقل عن طريق الشم كما كان يعتقد المصريون[١] .

أما الجبرتي فقد وصف مقدمات الطاعون فيقول : ".. يكون الإنسان جالساً فيرتعش من البرد فيتدثر فلا يفيق إلا مخالطاً،أو يموت من نهاره، أو ثاني يوم "[٢]

أما أعراض هذا الوباء كما وصفه أحد الجنود الفرنسيين الذين شفوا منه بعد مرض فيقول : " يبدأ المرض بحمى مرتفعة يعقبها صداع شديد ، ويتكون حيل أو غدة في حجم البيضة تقريباً في خن الورك أو في أي مفصل آخر من الجسم كأسفل الإبط وثنية الذراع وتكون هذه الإحتقانات مؤلمة جداً ؛ فإذا ظهر الحيل فقل على المريض السلام ، وإذا ظل على قيد الحياة لمدة أربعة أيام كان الأمل في شفائه كبير، ولكن هذا لا يحدث إلا نادراً " . كما يصاب المريض بآلام تشنجية تشبه أعراض مرض الكلب . ويتشابه المرض في أعراضه الأولى بأعراض التسمم الكحولي الحاد، فيصبح المريض خاملاً يترنح ، ويفقد القدرة على الوعي ، ويهذى في تشنجات تشبه هذاء السكارى ، وترتفع درجة حرارته حتى تصل إلى أكثر من ٤١ مئوية ، ويصحب هذا ألم عام وصداع عنيف ثم تبدأ الدمامل والبثور تظهر على سطح الجلد مع حدوث آلام في البطن والتهاب في الكبد ويصحب كل ذلك أرق واضطراب عام[٣].

ويصف لنا مؤرخنا الجبرتي في مشهد يستحق الذكر ما ألم بالبلاد من جراء وباء الطاعون وتأثيره على أحوالها قبل قدوم الغزو الفرنسي ، فقد أصاب البلاد طاعون شهير في سنة ١١٤٨هـ/١٧٣٥م عرف بطاعون " كو " وأطلق عليه الجبرتي " الفصل العائق يأخذ على الرائق " والذي قاسى منه الناس كثيراً وقد أدى إلى إحداث

---

(١) Déscription de L' Egypte, op.cit T.XVIII , 1 er part, pp.43 – 44.

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

(٣) Désgénettes : op.cit, T. II, pp. 19

ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ٢٩١ .

فوزى السيد السيد المصرى : تاريخ الأوبئة ، مرجع سابق ، ص ٢٥.

خسائر فادحة في الأرواح ومات من جرائه الكثير من الأعيان[١]، وكذلك أورد الجبرتي في ذكر طاعون " شيحه " الذي حدث عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م في أول عهد على بك الكبير : " في تلك السنة ...نزل مطر كثير سالت منه السيول وأعقبه الطاعون المسمى بقارب شيحة الذي أخذ المليح والمليحة . مات به الكثير من الناس المعروفين وغيرهم ما لا يحصى ... "[٢].

أما طاعون عام١٢٠٥هـ / ١٧٩١م والذي عرف بوباء إسماعيل بك فقد أحدث رعباً في أنحاء البلاد ووصفه الجبرتي قائلاً : وفيه ابتدأ أمر الطاعون وداخل الناس منه وهم عظيم ... " وخلال شهر رجب " زاد أمر الطاعون وقوى عمله بطول شهر رجب وشعبان وخروجه عن حد الكثرة ومات به ما لا يحصى من الأطفال والشبان والجواري والعبيد والمماليك والأجناد والكشاف والأمراء ، ومن أمراء الألوف الصناجق نحو اثنى عشر صنجقا ... والأرنؤد الكائنون ببولاق ومصر القديمة والجيزة حتى كانوا يحفرون ... حفر المن بالجيزة ... ويلقونهم فيها ، وكان يخرج من بيت الأمير في المشهد الواحد الخمسة والستة والعشرة وازدحموا على الحوانيت في طلب العدد والمغسلين والحمالين ويقف في انتظار المغسل أو المغسلة الخمس والعشرة ويتضاربون على ذلك ، ولم يبق للناس شغل إلا الموت وأسبابه فلا تجد إلا مريضا أو ميتا أو عائدا أو معزيا أو مشيعا أو راجعا من صلاة جنازة أو دفن أو مشغولا في تجهيز ميت أو باكيا على نفسه موهوما ولا تبطل صلاة الجنائز من المساجد والمصليات ... ومات الأغا والوالى في أثناء ذلك فولوا خلافهما فماتا بعد ثلاثة أيام فولوا خلافهما فماتا أيضا ، واتفق أن الميراث انتقل ثلاث مرات في جمعة واحدة ، ولما مات إسماعيل بك تنازع الرئاسة حسن بك الجداوى وعلى بك الدفتر دار ثم اتفقوا على تأمير عثمان بك طبل تابع إسماعيل بك على مشيخة البلد وسكن ببيت سيده وقلدوا حسن بك قصبة رضوان أمير حاج ، ثم أنهم أظهروا الخوف والتوبة والإقلاع وإبطال الحوادث والمظالم وزيادات المكوس ونادوا بذلك وقلدوا أمراء عوضا عن المقبورين

---

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، والجزء ، ص ٣٠٧.

من مماليكهم ."[١]. وترى المصادر الفرنسية أن ثلث سكان القاهرة قد ماتوا من جراء هذا الطاعون[٢] .

وقد تأثر أمراء المماليك تأثراً واضحاً بهذه الطواعين التي اجتاحت البلاد فمات عدد كبير منهم ، وظهر ذلك عندما واجهوا الغزو الفرنسي لأول مرة بعدد قليل من الأمراء فى معركتى شبراخيت وبولاق .

وخلال الشهور الثلاثة الأولى للوجود الفرنسي في البلاد ومع أول شتاء قضاه الفرنسيون بالإسكندرية ظهر الطاعون في متصف شهر ديسمبر ١٧٩٨ ؛ ففرضت القيادة الفرنسية حجراً صحياً صارماً على الداخلين والخارجين من المدينة للحد من خطورة الوباء ، وقبل منتصف شهر يناير ١٧٩٩م كان الفرنسيون قد فقدوا خمسة وتسعين رجلا من رجالهم رغم هذه الاحتياطات ، وكانت نسبة الوفيات مرتفعة بشكل خاص بين رجال الفريق الطبي مما يدعو للاستغراب خاصة وأن نسبة الوفيات بين أبناء الثغر كانت أقل ، وربما لأن السكان كانوا قد اكتسبوا شيئاً من المَناعة ضد هذا الوباء ، وزاد من صعوبة الموقف أن حالة المواصلات بين الإسكندرية وداخل البلاد وبخاصة القاهرة أصبحت صعبة بسبب هذه الأوضاع السيئة مما أدى إلى تفاقم الوضع الغذائي للمدينة سوءاً ، واضطر الجنرال مارمون Marmont إلى طلب المساعدة والعون من قائد منطقة رشيد الجنرال منو Ménou [٣].

ومع استمرار الوباء خلال شهري يناير وفبراير ١٧٩٩م لحقت بالجيش الفرنسي خسارة فادحة في الأرواح ؛ إذ مات ١٦٥٠ رجلا من حامية الإسكندرية خلال هذه الشهور حيث ألف الجنود الشتاء القارس في أوربا ولم يألفوا شتاء الإسكندرية الدافئ الذي ساعد على انتشار الوباء فيما بينهم ، في حين لم يصب إلا عدداً ضئيلاً من سكان المدينة[٤] .

---

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ص ٩٤- ٩٥ ، ٢٠٣ – ٢٠٧ .

(٢) Déscription de L' Egypte, op.cit T.XVIII , 1 er part, pp.44 .

(٣) هنرى لورانس ، وأخرون : مرجع سابق ، ص ص ٣٠٥- ٣٠٦ .

(٤) Déscription de L' Egypte, o.pcit T.XVIII , 2 em part, pp.405 – 406.

ولم تسلم مدينة دمياط من الوباء خلال هذه الفترة المبكرة من الوجود الفرنسي في البلاد فكان أول ضحاياه من بين صفوف الجيش هو المواطن لانتريج Lantrege وقد شخصت حالته على أنها " حمى وبائية أو معوية " ، وظلت كلمة " الطاعون الدملى " محظورة الانتشار على الجنود ، إذ كان رأى القائد العام بونابرت إن أشد ما ينطوى عليه الطاعون من أخطار هو الخوف منه[١] .

وفى القاهرة يروى لنا الجبرتى فى أحداث شهرربيع الثاني١٢١٣هـ/ سبتمبر ١٧٩٨م فيقول : " وفيه نبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن كتربة الأزبكية والرويعى ولا يدفنون الموتى إلا فى القرافات البعيدة ، والذى ليس له تربة بالقرافة يدفن ميته فى ترب المماليك ، وإذا دفنوا يبالغون فى تسفيل الحفر ونادوا أيضا بنشر الثياب والأمتعة والفرش بالأسطحة عدة أيام ، وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة كل ذلك للخوف من حصول الطاعون وعدوه ، ويقولون أن العفونة تنحبس بأغوار الأرض فإذا دخل الشتاء وبردت الأغوار بسريان النيل والأمطار والرطوبات خرج ما كان منحبسا بالأرض من الأبخرة الفاسدة فيتعفن الهواء فيحصل الوباء والطاعون ..." [٢].

وقد ساعد على انتشار الوباء أن المصريين كانوا يدفنون موتاهم فى المتخللات الفراغية وسط المدن والقرى ، فكانت مدافن أهالى القاهرة وسط المدينة بجوار مشهد السيدة زينب ، والشيخ ريحان وغيرهما ، ومقابر أهالى الإسكندرية إلى جوار مقام أبى العباس المرسى ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كان المصريون عموما يدفنون موتاهم داخل منازلهم أو بداخل المساجد[٣] ، لذلك قام الجنرال بونابرت بإصدار أوامره

---

(١) Désgénettes : op. cit, T . II, pp. 19 .

ج . كرستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص ص ٢٩١ – ٢٩٣ .

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

(٣) ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، ج ٤ ، القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٩٠٠م ، ص ٩٢ .

بردم الكثير من البرك والمستنقعات التى كانت منتشرة داخل مدينة القاهرة مثل بركة الأزبكية وما يجاورها[١] والدفن خارج المدن .

كما ورد فى نفس الشهر خبر حدوث الطاعون ببلاد الشام ويروى الجبرتى أن السفن الداخلة إلى ميناء الإسكندرية كانت تحمل هذا الوباء ، وكان الفرنسيون يشددون فى اتخاذ الإجراءات المانعة لدخول الوباء للبلاد[٢] بعد أن فقدوا عدداً كبيراً من رجالهم على الرغم من الاحتياطات السريعة التى اتخذوها على عجل لمجابهة هذا الخطر القادم

وظل معدل الوفيات يرتفع يوما بعد يوم بين الفرنسيين أنفسهم وخاصة بين فريق الأطباء الذين واجهوا لأول مرة فى حياتهم هذا العدو الغامض لهم [٣].

ومع بداية عام ١٧٩٩م أعلنت الدولة العثمانية الحرب على فرنسا نتيجة غزوها لمصر؛ وتوقع الجنرال بونابرت هجوم الجيش التركى على البلاد من جهة بلاد الشام ؛ فقرر على الفور مباغتة الأتراك فى عقر دارهم ، فأصدر أوامره بالهجوم على سوريا على رأس جيش يتكون من ثلاثة عشر ألف رجل من أمهر قواده وجنوده . وتمكن من الإستيلاء على المدن الساحلية بدءًا من العريش وغزة ثم يافا بعد أن أعمل فى حاميتها القتل إثر استسلامها له مخالفاً شروط الأمان التى منحها لهم، ثم تمكن من الإستيلاء على حيفا بعد مقاومة عنيفة من حاميتها بعد ارتكاب جنوده العديد من المجازر ضد أهلها وحاميتها التركية[٤] .

على أن جنود بونابرت أصيبوا بأعراض ذلك الوباء القاتل " الطاعون " ومات منهم المئات فى غضون عدة أيام بعد أن عانوا من الحمى الشديدة والهذيان والصداع

---

(١) جورجى زيدان:تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامى إلي هذا العصر،ج ٢، القاهرة، ط٣،مكتبة الهلال ، ١٩٢٥، ص ١٢٠.

(٢) Reybaud : op.cit , T . 3 , p . 159 .

الجبرتي : عجائب الآثار ، ج١ ، ص ٦١٦ .

(٣) Déscription de L' Egypte, op.cit T.XVIII , 2 em part, pp.405 – 406.

Correspondance de Napoleon ,T. IV Doc No . 3569 ,p.110 .

(٤) هنرى لورانس وآخرون : مرجع سابق ، ص ص ٣٤٢ – ٣٤٤ .

القائل والأورام ، وكانوا من نتيجة للخوف الشديد والذعر الذى أصاب الكثيرين منهم أن قام بعض المصابين بالانتحار تخلصاً من الآلام المبرحة التى تعرضوا لها .

وقد حاول الأطباء الفرنسيون كتمان ما يعرفونه عن آثار ونتائج الوباء عن جنودهم خشية انهيار روحهم المعنوية ، وبث روح المقاومة لديهم بالقول بأنه ليس " الطاعون " على أن الجنود المصابين كانوا يعلمون مقدما أنه حتفهم المحتوم ، ولم تفلح محاولات الجنرال بونابرت اليائسة فى منع أسباب ودوافع التوتر والخوف والوهن الذى أصاب قواته ، وإزالة أسباب الرهبة من نفوسهم بالقيام بنفسه مترجلا فى مدينة الرملة يوم ١١ مارس ١٧٩٩م[١] بزيارة مستشفى الطاعون التى أنشئت على عجل لمرضاه ، موضحا لهم أنه لا داعى للخوف مما أصابهم ، وتحدث مع الجنود المصابين لفترة طويلة وقام بمساعدة الأطباء على رفع أحد الجثث غير أياب بما يحدث له فكان لفعله هذا أثر حميدا فى رفع الروح المعنوية للمصابين وقد حاول الأطباء الفرنسيين جهدهم لمنع انتشار الوباء بإنشاء مستشفى جديد بمقر الدير الكاثوليكى الذى استقبل على عجل يوم ١١ مارس ١٧٩٩ تسع وتسعون حالة وبائية ومات منها أربع عشرة حالة على الفور[٢] ؛ باستخدامهم الوسائل التى تعلموها حديثا قبل مجيئهم لمصر وأثناء تواجدهم حين ظهر الطاعون بالإسكندرية إثر احتلالهم لها فقد تم عزل الضحايا ودفنهم بعيدا عن الأصحاء فأصبحت مدينة عكا وكأنها محجرا صحيا أقامه الفرنسيون على عجل ولقد اعترف القائد العام الفرنسى بأن أهم أسباب خسارته أمام أسوار عكا هو تفشى الطاعون بين جنوده وفتكه بقواته فعاد يجر أذيال الهزيمة قاصدا مصر يستحثه قواده بها على العودة بعد تخبط خططهم فى مواجهة المهدى المغربى بسنهور البحيرة بعد أن حطم الطاعون حلم استيلاء بونابرت على عاصمة الإمبراطورية العثمانية "إسلام بول" وبعد أن فقد ما لا يقل عن ألف رجل من قواته جراء هذا الوباء وأصيب أكثر من

---

(١) Désgénettes : op. cit, T . II, p. 45 .

(٢) Désgénettes : op. cit, T .,I pp. 48 – 49 .
De La jonquière : op . cit, T. IV, p.284 .

٢٥٠٠ رجل آخر بأعراضه[١]. ؛ منهم العديد من كبار الضباط بالفرق المختلفة ؛ رغم الأوامر المتكررة للقائد العام بضرورة اتخاذ الاحتياطات اللازمة للوقاية من المرض والرعاية المستمرة من الأطباء لنزلاء مستشفيات الميدان في غزة ، ويافا ، وجبل الكرمل ، والرملة ، وعكا [٢].

ويرى البعض أن أسباب خسارة بونابرت البشرية فى قواته التى شاركت فى حملة الشام ترجع إلى :

أولا: عدم تجهيز القوات المحاربة فى هذه الجملة تجهيزا يكفل لها الاستمرار فى القتال من ناحية الغذاء والعتاد وتوفير الرعاية الطبية اللازمة لها .

ثانيا : ظهور القوارض البرية والجرذان والبراغيت والتى انتشرت بسرعة فى مخازن القوات الفرنسية بين حامية عكا التى انسحبت منها لتقاوم العدو من داخل قلعتها التى تشرف على البحر.

ثالثا: ملاءمة طبيعة المناخ فى هذه الفترة من السنة التى ساهمت على انتشار بسرعة بين الجنود الفرنسيين الذين لم يألفوا هذا المناخ فى بلادهم[٣].

وعند عوده بونابرت مهزوما إلى القاهرة أوفد عدداً من الأطباء إلى الإسكندرية وبينهم طبيب من البندقية (فينيسيا) يقطن فى القاهرة يدعى "جورجيو فولدونى Georgio Voldoni " قيل أنه خبير فى تشخيص ومعالجة وباء الطاعون ،

---

(١) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص ص ٢٩٢- ٢٩٣ ، ٢٩٩ .

عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٣ .

(٢) Désgénettes : op. cit, T . I, p. 78 .

أحمد اسماعيل السيد : البعثة العلمية للحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ – ١٨٠١م ، رسالة ماجستير لم تنشر ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٥ ، ص ص ٣٤٤ – ٣٤٥ .

(٣) Robert . K . D. Peterson : op . cit , p.152.

هنرى لورانس مرجع سابق ، ص ص ٣٦٣ – ٣٦٤ .

عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٣٣ .

ولكن هذا الطبيب لم يكن ذا نفع كبير للفرنسيين فى مواجهة هذا الخطر لإدمانه الخمر واعتكافه لها[١] .

ولم تنج الإسكندرية خلال وجود الفرنسيين على أرض بلاد الشام من التعرض للوباء فمنذ منتصف شهر يناير ١٧٩٩م والأحوال تسوء فى المدينة يوما بعد يوم ؛ فقد كتب الجنرال مارمون Marmont قائد حامية الإسكندرية إلى الجنرال منو Ménou – حاكم رشيد في يوم ١٧ يناير ١٧٩٩م يقول له إن إحدى الأورطات تفقد كل يوم من ستة إلى سبعة رجال " ولسوف يقضى عليها قضاء مبرما فى خلال شهر واحد "[٢]، ثم زادت الوفيات إلى سبعة عشر رجلا فى اليوم الواحد ، وتباطأ مستشفى الحجر الصحي بالمدينة فى تقديم العلاج والغذاء للمرضى فكانوا يتضورون جوعا مصحوبا بآلام المرض ، وكتب مارمون مرة أخرى يناشد مينو إمداده بالمؤن قائلا له : " استحلفك بالله ألا تهملنا ، بل ارسل لنا نقودا ...ارسل بعض القمح ... إن التذمر شديد بين الجنود "[٣].

وراجت الشائعات بين الجنود الفرنسيين بالمدينة فقيل أن المرضى منهم يوضعون على أسرة لم ترفع عنها بعد جثث ضحايا الطاعون نتيجة تزايد أعداد المصابين ؛ وأن خدم المستشفيات يبيعون ثياب الموتى بدلا من حرقها ، وأن الجثث تظل دون دفن لمدة يوم كامل ، أو تدفن فى قبور غير آمنة فتقوم الكلاب بنبشها وأكل اللحوم البشرية ، فساءت أحوال الجنود النفسية إلى درجة كبيرة[٤] وحين عودة القائد العام من رحلته إلى السويس وجد فى انتظاره العديد من رسائل الجنرال مارمون تخبره بتفشى الوباء بين الجنود الفرنسيين بحامية الثغر ، وفشل الأطباء في مواجهته والقضاء عليه كلية ؛ رغم اتخاذ القيادة العسكرية الاحتياطيات الضرورية وتحقيق بعض النجاح تجاهه بمساعدة أحد الأطباء الأوربيين المقيمين منذ مدة طويلة بالمدينة

---

(١) Désgénettes : op. cit, T . I, pp. 33 –34 .
De La jonquiére : op . cit, T. IV, p. 41.

(٢) Déscription de L' Egypte, op.cit T. IV, p. 38

(٣) I bid , p.39 .

(٤) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

بماله من دراية وخبرة في هذا المجال . ولكن الفرنسيين فقدوا عددا آخر من رجال حاميتهم وعلى رأسهم المواطن استيير Astier رئيس حراس البحرية ، وعدداً من البحارة والكتبة خلال أيام قلائل من زحف الوباء[١] .

٢ - ظهور الطاعون بأسيوط :

ظهر الوباء بإقليم أسيوط في شهر ذي الحجة ١٢١٥ هـ / أبريل ١٨٠١ م وكان يموت بسببه كل يوم أكثر من ستمائة من أهل الإقليم ، ومات الكثير من العلماء والقراء والرؤساء والملتزمون وأرباب الحرف وغيرهم . ولقد أسهب الجبرتي في ذكر خبر طاعون أسيوط بعد أن رحل إليها هربا معظم الأعيان من شمال البلاد بسبب وقوع الطاعون في القاهرة والإسكندرية وعلي رأسهم جماعة إسماعيل بك متولي الإمارة ، وسليمان بك والأمير سليم وهو من أعيان أسيوط الذي كانت له فضائل كبيرة علي مدينة أسيوط . وفي ذلك يقول الجبرتي :" ومات الأمير سليمان بك المعروف بالأغا توفى بأسيوط بالطاعون وهو أيضا من مماليك محمد بك الكبير ، وهو أخو إبراهيم بك المعروف بالوالي صهر إبراهيم بك الكبير " . " ومات الأمير سليم كاشف بأسيوط مطعونا وهو من مماليك عثمان بك المعروف بالجرجاوي من البيوت القديمة وخشداش عبد الرحمن بك عثمان ..... وكان ملتزماً بحصة من أسيوط وشرق الناصري واستوطن بأسيوط وبني بها داراً عظيماً وعدة دور صغار وأنشأ بها عدة بساتين ... وأنشأ بأسيوط جامعاً عظيماً ومكتباً .... حتى قدمت الفرنسيين فاتخذوه سجنا يسجنون به ... ومات والمسجد باق علي ما هو عليه ...."[٢].

وكان الشيخ حسن العطار قد غادر القاهرة متجها لأسيوط حيث أقام بها ثمانية عشر شهراً قبل حدوث الطاعون ، وكان خلالها يراسل الجبرتي بالقاهرة ، وقد أنجاه الله من ذلك الوباء الذي اجتاح بلاد الصعيد [٣] .

وقد أورد الجبرتي في كتاباته نص رسالة شيخه العطار والتي يشرح فيها أحداث الطاعون بأسيوط فيقول الجبرتي : " وقد أخبرني صاحبنا العلامة الشيخ حسن

---

(١) De la jonquière : L' Expédition d' Egypte , op .cit , T .IV , pp .21,27 .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٢ ص ص ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ٤٥٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ .

المعروف بالعطار المصري نزيل أسيوط مكاتبه ... ونعرفكم يا سيدي أنه قد وقع في قطر الصعيد طاعون لم يعهد ولم تسمع بمثله وخصوصا ما وقع منه بأسيوط وقد انتشر هذا البلاء في جميع البلاد شرقا وغربا وشاهدنا منه العجائب في أطواره وأحواله وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد وكان أكثره في الرجال لاسيما الشبان والعظماء وكل ذي منقبة وفضيلة وأغلقت الأسواق وعزت الأكفان وصار المعظم من الناس بين ميت ومشيع ومريض وعائد حتى أن الإنسان لا يدري بموت صاحبه أو قريبه إلا بعد أيام ويتعطل الميت في بيته من أجل تجهيزه فلا يوجد النعش ولا المغسل ولا من يحمل الميت إلا بعد المشقة الشديدة ، وأن أكبر كبير إذا مات لا يكاد يمشي معه ما زاد علي عشرة أنفار تكتري ، وماتت العلماء والقراء والملتزمون والرؤساء وأرباب الحرف ، ولقد مكثت شهرا بدون حلق رأسي لعدم الحلاق " ويضيف الشيخ العطار أن الطاعون استمر منتشرا بأسيوط منذ شهر شعبان من سنة ١٢١٥هـ / يناير ١٨٠١ م وظل يتزايد خلال شهري ذي الحجة من نفس السنة ، فكان يموت كل يوم نحو ستمائة شخص ، فإذا خرج الإنسان من بيته لا يري إلا جنازة أو مريضاً أو مشتغلا بتجهيز ميت ولا يسمع إلا نائحة أو باكية ، وتعطلت المساجد من الأذان والإمامة لموت أرباب الوظائف " واشتغال من بقي منهم بالمشي أمام الجنائز والصبح والسهر وتعطيل الزرع من الحصاد ونشف علي وجه الأرض وأبادته الرياح لعدم وجدان من يحصده ، وعلي التخمين أنه مات الثلثان من الناس ... " كما أن عربان أسيوط سعوا في البلاد بالفساد وتخويف الناس بسبب الأحوال المضطربة وعدم استقرار الأمن من جانب الحكام . ويختتم الشيخ العطار رسالته لصديقه الجبرتي قائلا : " ولو شئت أن أشرح لك يا سيدي ما حصل من أمر الطاعون لملأت الصحف مع عدم الإيفاء ... "[1] مما يؤكد مدي ما ألم بصعيد مصر وبخاصة أسيوط من أخطار ذلك الطاعون الذى أصابها في مقتل بموت رجالها وقادتها وعلمائها خلال شهور ثلاث عجاف قضت علي الأخضر واليابس .

وقد ازداد موقف الفرنسيين حرجاً باستفحال فتك الطاعون في أبناء البلاد والفرنسيين معا وخاصة في القاهرة والصعيد ، منذ شهر يناير ١٨٠١م ، واشتدت

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ص ٤٣٩ – ٤٤٠ .

وطأته في أوائل أبريل من نفس العام ؛ فكان يموت به في اليوم الواحد نحو مائة من الأهالى وعشرين من الفرنسيين وبلغ من مات منهم جميعاً نحو خمسمائة نفس بالرغم من الجهود التي بذلها أطباء الجيش الفرنسي في مقاومته ، ولم يشهد الناس وباء يحاكيه في شهرته ووطأته منذ وباء ١٧٩١ م المعروف بوباء إسماعيل بك[١] ، ويضيف المسير جو مار jomard الذي شهد هذا الوباء أن فتكه كان ذريعا ؛ . وقد وصف الطبيب لاري كبير جراحي الحملة وباء عام ١٨٠١ م في مشاهداته عن الأمراض في مصر أن هذا الوباء قد أودي بحياة مائة وخمسين ألف نسمة من المصريين في القاهرة والوجه القبلي [٢].

وكان من أشهر من مات بالطاعون في هذا العام هو مراد بك – زعيم المماليك عندما أصيب بهذا الوباء ودفن بعد موته بسوهاج بجوار الشيخ العارف يوم ١٨ أبريل ١٨٠١ م (٤ من ذي الحجة ١٢١٥ هـ) [٣].

كما انتشرت عدة أمراض وأوبئة أخرى ولكنها لم تكن ذات خطورة كبيرة على السكان كالطاعون مثل وباء الكوليرا التي ترجع أسبابه إلى فساد الهواء وعدم النظافة ، وهو لا يتفشى في مصر إلا عندما يكون الجو حارا رطبا وهو ما لا يحدث في مصر غالبا إلا في أشهر أبيب ومسرى وتوت من السنة القبطية أي زمن حدوث فيضان النيل الشديد ، والكوليرا كان مرضاً غريباً على أرض مصر لم يتوطن بها كثيرا ، وكان يعتقد أن موطنة الأصلي هو بلاد الهند ، ويرد إلى البلاد مع الحجاج العائدين من بلاد الحجاز المخالطين للحجاج الهنود[٤].وربما لم تتعرض له مصر خلال سنوات الاحتلال الفرنسي الثلاث ؛ إذ لم تتعرض البلاد لفيضانات عالية حينئذ بل على العكس أصيبت مصر بفترات من شح المياه والقحط ، ولذلك لم تسعفنا المصادر المعاصرة بالإجراءات الفرنسية لمواجهة هذا الوباء .

---

(١) المصدر نفسه ، والصفحات .

(٢) Déscription de L' Egypte, op.cit T.XVIII , 2 em part, pp.350 – 360.

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ .

(٤) فوزي السيد السيد المصري : تاريخ الأوبئة .. ، مرجع سابق ، ص ص ٥٢ – ٥٣ .

ثالثاً :إنشاء الفرنسيين للمستشفيات والمحاجر الصحية

١- إنشاء المستشفيات بالإسكندرية :

عندما قدم الجنرال بونابرت Bonaparte على رأس حملته العسكرية إلى مصر لم يكن جاهلاً تماماً بأحوال مصر الصحية ؛ فلقد اصطحب معه اثنان من أعظم أطباء وجراحي فرنسا آنذاك ضمن أعضاء المجمع العلمي ولجنة العلوم والفنون وهما الطبيب ديجنيت والجراح لارى [١] . بعدما قرأ الكثير عن أحوال مصر في جميع المجالات ومن بينها الأحوال الصحية وخاصة ما كتبه الرحالة الفرنسيون عن مصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وعلى رأسهم فولني، ولذلك عندما وطأت أقدام القائد العام أرض مصر أصدر أمره العسكري بإنشاء أول محجر صحي فرنسي بالإسكندرية لمراقبة الوافدين على البلاد من خلال ثغرها الأول بعدما نما إلى علمه عن انتشار مرض الطاعون خلال السنوات المنقضية قبل مجيئ قواته لمصر، خاصة وأنه كان يعلم جيداً أن الأمراض والأوبئة تنتشر في البلاد وتقضى على حياة الكثيرين من أبنائها وعلى رأسها وباء الطاعون ؛ إذ كانت الاحتياطات الصحية قبل مجيئ الفرنسيين معدومة تماماً وكان القائد العام يعلم تماماً من خلال أطبائه أن مناخ مصر المعتدل بشكل عام طوال العام يساعد على انتشار الأمراض والأوبئة مما سيكون له تأثير سيئ على الحالة الصحية والنفسية لقواته . ومن هذا المنطلق أصدر القائد العام أوامره إلى قائد منطقة الإسكندرية – الجنرال كليبر Kléber بإنشاء أول مستشفى عسكري بالمدينة للجرحى. ثم تبعها إنشاء مستشفى آخر للمرضى [٢] واتخذ الفرنسيون من المساجد

---

(١) للمزيد عن ترجمة هذين الطبيبين يمكن الرجوع إلي : عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، ج١ ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٦ ، ١٩٨٧ ، ص ص ١٣٤ – ١٣٥.

(2) Charles Roux : Bonaparte gouverneur d' Egypte, paris , 1945. pp.102-104, Reybaud : op.cit,T.3p.159 .

الكبرى مقرا لهما ، وأصبحا مع مرور الوقت يتسعان لاستقبال أربعمائة مريض في آن واحد [١] .

ثم أنشأ الفرنسيون أربعة مستشفيات أخرى فأصبح عدد مستشفيات المدينة ستة مستشفيات نتيجة ازدياد حدة الطاعون وخاصة عامي١٧٩٩ ، ١٨٠٠م عندما أصبحت الحاجة ملحة لمضاعفة عدد المستشفيات وزيادة سعتها لاستقبال المرضى الفرنسيين [٢]

ولذلك فقد أصدر دور Daure – القوميسير العام للحملة أوامره إلى المدير سارتلون Sartelon بزيادة عدد الأسرة لاستقبال المزيد من المرضى أثناء فترة الأزمات وانتشار الأمراض ، مع تخصيص عدد غير محدد من المستشفيات المتنقلة أو إسعافات الطوارئ Ambulance ؛ بحيث يتكون كل مستشفى متنقل من عشرة جمال يرافقها طبيب لديه جميع إمكانيات الإغاثة الطبية السريعة لاستقبال وعلاج الحالات المرضية المفاجئة [٣] .

كما أنشى مستشفى آخر بمنطقة أبى قير بشرق المدينة ، وعدة مستشفيات برشيد ، زودت جميعها بالمخازن اللازمة لتخزين الأدوية والأسرة والمستلزمات الطبية ، والمفروشات والوسائد ، والأغطية من الأحرمة والمراتب وكل ما يلزم هذه المستشفيات [٤] من الأواني المعدنية ، والأقداح ، والأسرة الخشبية وغيرها [٥].

---

(١) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من أول نوفمبر ١٧٩٩ – ٤ مايو ١٨٠٠م ، وثيقة رقم B6 -145 مرسلة من دور Daure إلي ليجل Laigle بالإسكندرية .

(٢) محفظة رقم ٣٠ فترتها من ١٨٠١/١/٣ م ، إلي ١٨٠١/٨/١٧م وثيقة مؤرخة في ١١ ترميدور من السنة التاسعة .

(٣) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ١٧٩٩/٨/٢٣ – ١٨٠١/٨/٨م . ، وثيقة رقم 1386 – B6 -146 .

(٤) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ١٧٩٩/٨/٢٣ – ١٨٠١/٨/٨م، وثيقة رقم 1268- B6 -149 .

(٥) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ١٧٩٩/١٠/١٠- ١٨٠٠/٧/٥م ، وثائق أرقام ,667 B6 – 148 – 668.

كما أنشئت عند مستشفيات أخرى في الأقاليم والمدن المختلفة أهمها مستشفى الرحمانية التي أنشئت في ٧ أغسطس ١٧٩٩م وكانت تستوعب أكثر من مائة مريض كما احتوى المستشفى على وسائل للإسعاف من الجمال لنقل المصابين وأقيم بها صيدلي ونقالات لنقل الموتى [١] ثم أنشئ مستشفى بمدينة دمياط [٢] وآخر في بلبيس لقوات سلاح المدفعية [٣] .

٢- إنشاء المستشفيات بالقاهرة :

ونتيجة لعمليات الفرنسيين الحربية وحروبهم الأولى مع المماليك في شبراخيت وإمبابة بدأت بوادر ظهور الأمراض تنتشر بين القوات الفرنسية ، ولذلك لم يتوان الجنرال بونابرت في إصدار أوامره صبيحة دخوله القاهرة في يوم ٢٤ يوليو ١٧٩٨م بإنشاء منطقة طبية عاجلة في خلال عدة أيام ؛ تتكون من أربع مستشفيات عسكرية كما حدث بالإسكندرية ، واحدة في بولاق ؛ وأخرى في مصر العتيقة ، وثالثة بالأزبكية ، والرابعة في الجيزة، مستخدما قصور الأمراء المماليك كمقار لهذه المستشفيات وعلى رأسها قصر إبراهيم بك في القصر العيني ، وقصر مراد بك بالجيزة إثر هروبهما من البلاد [٤] .

كما أمر بونابرت إثر استيلائه على القاهرة بإنشاء مستشفى عسكري في قصر مراد بك بالجيزة ، ثم عدل عنه ونقل المستشفى إلى مقرة الجديد بقصر إبراهيم بك تجاه جزيرة الروضة وأنشأ عدة مستشفيات أخرى متفرقة لعلاج العسكريين من أهمها مستشفى القلعة الذي كان يستوعب ما بين ١٥٠ - ٢٠٠ مريض وملحق به

---

(١) De la jonquière : op.cit , T.V,p.449 .

عبد الله خطاب هبالة : دور البحيرة في عهد الحملة الفرنسية (١٢١٣ - ١٢١٦ هـ / ١٧٩٨ - ١٨٠١م)، رسالة ماجستير لم تنشر ، كلية الآداب بدمنهور ، ٢٠٠٢م ، ص ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٢) فوزي السيد السيد المصري : تاريخ تعليم الطب ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٣) Corres pondance de Napoleon I er, T. lV ,Doc. No. 3399, p. 521.

(٤) Charles Roux ; op.cit , pp.102 – 104 .

Désgénettes: op. cit, T. I,p.13 .

صيدلية [١]، وقد فكر في إنشاء مستشفى للمصريين فتألفت لجنة من الجنرال كافاريللى Cafarelli والطبيبين ديجنيت ، ولارى ، والعالمين مونج Monge وبرتوللية Berthollet والمواطن دور Daure – مدير مهمات الجيش لبحث المشروع ، وأشار ديجينت بإنشاء المستشفى في قصر عثمان بك الطبنورجي ببركة الفيل عوضا عن المستشفى المصري القديم وهو البيمارستان المنصورى الذي كان قد أسسه الملك المنصور قلاوون وأتمه ابنه الناصر عام ٧١٠هـ/١٣١٠م وكانت حالته قد ساءت عند قدوم الحملة واقترحت اللجنة أن يلحق بالمستشفى مدرسة طبية لتعليم المصريين الطب باللغة الفرنسية ولكن ظهور الطاعون أرجأ تنفيذ المشروع الذى لم يتم حتى خروج الحملة ، ولم يظهر إلى النور إلا في عهد محمد علي بعد ذلك ، كما أمر بونابرت بإنشاء مستشفى خاص بعلاج الأوربيين ، ويذكر الفرنسيون أنه كان يوجد بالقاهرة حين قدومهم عدة مستشفيات كانت تؤدى دوراً محدوداً في علاج المرضى من بينها مستشفى للنساء بالقاهرة يعرف بـ(التكية) إلى جانب بعض التكايا الأخرى التي تعالج المرضى [٢] .

كما أعاد الفرنسيون تنظيم البيمارستان المنصورى الذي كان مخصصا للأمراض العقلية الذي عرف باسم مستشفى قلاوون حين مجيئ الحملة وعولج فيه الفقراء والأغنياء على السواء واهتم به الأطباء الفرنسيين فأصبحت تعزف فيه الموسيقى الهادئة لتسلية المرضى ، وكان المريض عند خروجه من المستشفى يمنح خمس قطع ذهبية لينفق منها على نفسه حتى يستعيد عافيته ويزاول عمله [٣] .

---

(١) Correspondance de Napoleon I er, T. lV , Doc No. 3588, p.153 .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ص ١٤١ – ١٤٢ .
فوزى السيد السيد المصري : تاريخ الأوبئة ، مرجع سابق ، ص ١٦ ، تاريخ تعليم الطب ، مرجع سابق ، ص ١٣.

(٣) المرجع نفسه ، تاريخ تعليم الطب .. ، ص ١٣ .

وعهد القائد العام بونابرت إلى أحد أطباء الجيش وهو فرانكFrank بزيارة المستشفيات الفرنسية المستحدثة وإبداء ملاحظاته ومقترحاته بشأنها [١] حتى يتسنى له تطوير أدائها والنهوض بها .

وعندما تولى الجنرال كليبر Kléber القيادة العامة في ٢٣ أغسطس ١٧٩٩م خلفا للجنرال بونابرت ؛ كان من بين اهتماماته الأولية زيارة مستشفيات القاهرة ومتابعة أدائها ورعايتها وزيادة الإنفاق عليها حتى تؤدي دورها في خدمة المرضي والجرحى الفرنسيين [٢] ؛ بعد ما زادت أعداد المرضي والجرحى والموتى متأثرون بجراحهم نتيجة العمليات الحربية المتتالية في الوجهين البحري والقبلي وثورة القاهرة الثانية ؛ وانتشار الأمراض والطاعون بين الجنود الفرنسيين حتى بدايات عام ١٨٠٠م بشكل كبير أزعج القيادة الفرنسية ، فلقد بلغ عدد الموتى بالمستشفيات نتيجة الإصابة بالأمراض المتوطنة في مصر (٢٠٢٨) رجلاً ، وعدد الموتى بوباء الطاعون (١٦٠٩) رجلاً [٣] .

وعلي الرغم من أن الطبيب العام للجيش ديجنيت ، ولاري – الجراح العام قد أشارا علي القائد العام – بونابرت بإنشاء مستشفي خاص لمرضي الجيش ، وجرحاه من العسكريين فقط علي ألا يسمح للمصريين بدخول هذا المستشفي [٤] ، إلا أن المصادر الفرنسية طالعتنا بأن الإدارة العسكرية للحملة سمحت للمصريين بالتردد علي مستشفياتها العسكرية إما للعلاج أو لاتخاذ الإجراءات الصحية اللازمة لاستخراج تصاريح دفن موتاهم تنفيذا للأوامر الفرنسية التي أوجبت عدم دفن الموتى قبل الكشف عليهم والتصريح بدفنهم [٥] . وتؤكد المصادر الفرنسية أنه لم يمض أقل من ثلاثة أشهر

---

(١) Le Courrier de L'Egypte, No. 34.

(٢) Ibid , No . 38 .

(٣) وجيه علي أبو حمزة : مرجع سابق ، ص ١٩٩.

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٢٥ .

(٥) Déscription de L' Egypte , I er part op.cit ; T.XVIII , pp.39-40 .

من بداية الوجود الفرنسي في مصر إلا وقد بلغ نزلاء المستشفيات الفرنسية بالقاهرة ما بين ١٢٠٠ – ١٥٠٠ مريض توفى منهم ما يقرب من ٦٠ شخصاً [١] .

٣- إنشاء الفرنسيين للمحاجر الصحية (الكورنتينات) :

ولقد اهتم الفرنسيون مع بداية احتلالهم للبلاد بإنشاء المحاجر الصحية أو المعازل " Lazarets " فبدأ القائد العام غداة وصوله للإسكندرية بإصدار أوامره بإنشاء أول محجر صحي بالثغر لمراقبة الوافدين عبر البحر إلي البلاد بعد ما سمع عن انتشار وباء الطاعون بين حين وآخر في أنحاء مصر [٢] ، ثم أصدر القائد العام أوامره بإنشاء أول إدارة صحية عرفتها مصر في تاريخها الحديث ، وعهد إليها تنفيذ القواعد والتنظيمات الصحية المعمول بها في فرنسا ، ووضع على رأس هذه الإدارة المواطن بلانك Blanc الذي عرف باسم (مدير مهمات المحاجر الصحية (L'ordonnateur des Lazzrets) [٣] .

واتخذ الفرنسيون من المرتفع الواقع جنوب شرق المدينة وداخل نطاق أسوارها من شاطئ البحر جنوب السلسة مقراً لأول محجر صحي (كورنتينة) [٤]. وألزمت القيادة الفرنسية بعد استقرارها بالقاهرة قيادة الإسكندرية بإرسال كشوف شهرية إلى القيادة العامة تتضمن عدد المصابين من المرضى الداخلين إلي المحاجر الصحية ، وألقابهم ورتبهم العسكرية ؛ والفرق التي ينتمون إليها ؛ وجميع البيانات الشخصية عنهم [٥].

---

(١) La Décade Egyptienne ,No. 3

(٢) Charles – Roux; op.cit , p.102,Reybaud : op.cit, T.3 ,p.159

(٣) Reybaud : op. cit,.T.3,pp.345-50
Désgénettes : op. cit, T . I, p.14

(٤) أقيم هذا المحجر فوق رابية مرتفعة جنوب السلسلة والتي أنشئت عليها مباني كلية الطب فيما بعد، ولا تزال هذه المنطقة يطلق عليها حي " الأزاريطة" على مقربة من محطة الرمل وأطلق عليها الجبرتي " كورنتينة Quarantina وهي كلمة إيطالية الأصل وتعني الأربعين : أنظر : احمد السعيد سليمان: تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٩ ، ص ١٨١.

(٥) محفظة بدون رقم فترتها من ١٠/١٠/١٧٩٩ – ٥/٧/١٨٠٠م ، وثيقة رقم 2309 من دور Daure إلي دريار Deriard وأجار Agard – 148 – B6 .

وأصبح لهذه المحاجر دوراً فعالاً في مقاومة انتشار عدوى الأمراض ووباء الطاعون ؛ إذ أقيم محجر ثان علي مشارف باب كانوب (رشيد) في أقصي جنوب شرق المدينة بهدف منع خروج أو دخول أية مواد غذائية لم يتم الكشف عليها واختبار سلامتها الصحية من جانب الأطباء الفرنسيين والسماح لها بدخول المدينة أو عدم دخولها .

وأقيم محجر ثالث في قرية كانوب (أبو قير) . ثم أقيم محجر بحري علي أطراف جزيرة فاروس pharos للسفن القادمة عبر البحر والراغبة في دخول الميناء الكبير الشرقي (الجديد) Le Port Neuf ، وصار واجباً على قائد الموقع الفرنسي ألا يسمح بالاتصال بداخل البلاد حال انتشار الأوبئة والأمراض ، والأمر باحتجاز أولئك الذين يتغيبون عن العودة للمدينة في المحاجر لمدة أربعين يوما للتأكد من سلامتهم قبل السماح لهم بالدخول . وكان أهم محاجر الثغر هو محجر باب رشيد لما له من اتصال مباشر وفعال مع طريق كانوب المتجه إلى طريق رشيد وشرق المدينة ، ومع طريق القاهرة المتجه نحو الجنوب الشرقي عبر إقليم البحيرة[١] . وأوجب الفرنسيون علي المحتجزين بالمحاجر تطهير ملابسهم وغسلها جيداً قبل الحصول علي شهادة من الإدارة الصحية الفرنسية تفيد سلامتهم من الأمراض والأوبئة [٢] .

وقامت الإدارة الفرنسية بتشديد الرقابة علي القوافل التجارية الداخلة أو الخارجة من المدينة ودخولها للمحاجر للتأكد من أن أفرادها لا يحملون أي عدوى[٣]، واتخاذ الإجراءات الصحية الملائمة مع أطقم البحارة على ظهر السفن القادمة من مرافئ ينتشر فيها الوباء [٤] .

---

(١) De la jonquière ; op . cit , T.V , p p. 31,34,37.

(٢) Description de L' Egypte, Ier part , op.cit , T.XVIII,PP.39 – 40 .

(٣) De la jonquière , op.cit , T.IV ,pp .34 -36.

(٤) محفظة بدون رقم فترتها من ١٨٠٠/١٠/٣٠ – ١٨٠٠/١١/١٩ م ، رسالة من مراقب الصحة برتران Bertrand إلي قائد الموقع فريان Friant مؤرخة في ٢١ برومير من السنة التاسعة .

كما اهتمت الإدارة العامة بالقاهرة بإنشاء عدة محاجر (كورنتينات) عند مخارج ومداخل العاصمة ؛ من ذلك كورنتينة باب العزب بالقلعة [١] وكورنتينة جزيرة بولاق لحجز القادمين إلي القاهرة من الوجهين البحري والقبلي ، كما أنشاوا محجرا آخر بجزيرة الروضة تجاه الجيزة بعد انتقال الوباء للقاهرة مع بدايات الوجود الفرنسي بمصر ، بخلاف محجرى مدينة دمياط، ومدينة رشيد [٢] .

وتطالعنا الوثائق الفرنسية بأن القائد العام كليبر بعد توليه القيادة بأقل من شهرين يصدر أوامره إلى الجنرال سانسون Sanson – قائد فرق المهندسين في يوم ١٩ أكتوبر ١٧٩٩م بإنشاء ثلاثة محاجر صحية في مناطق الطينة ، ودمياط ، وقطية [٣] ، بعد أن أصبح طريق شبه جزيرة سيناء نحو بلاد الشام منذ حملة بونابرت على سورية يمثل أحد ميادين الحروب مع الجيوش العثمانية وبخاصة في عهد الجنرال كليبر وحتى تسليم الجنرال بليار لمدينة القاهرة في عهد قيادة الجنرال منو .

رابعاً : الإجراءات والاحتياطات الوقائية الفرنسية :

١- موقف القيادة الفرنسية :

منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين أرض البلاد بدأت قيادتهم العسكرية في اتخاذ إجراءات وقائية صحية للحفاظ على قواتهم من التعرض للأمراض والأوبئة التي تهاجم المصريين بين الحين والآخر، وكانت أولى أوامر الجنرال بونابرت ذلك الأمر الصادر في ٢٩ سبتمبر ١٧٩٨ القاضي بإنشاء مكتب لصحة وتنقية الهواء Un Bureau de Sante et de Salubrute [٤] وكان هدف هذا المكتب وضع نظام صحى لدفن الموتى وتنظيف القاهرة من القاذورات والمخلفات التي من شأنها إفساد الهواء وتلويثه [٥] . وكانت أولى تلك الإجراءات قيام القوميسير العام دور Daure باعتماد مبلغ كبير من المال للإنفاق على المحاجر والمستشفيات التي أنشئت على عجل لكي تؤدى مهامها

---

(١) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ٤٢٧ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٣) Laurens , Henry : kléber en Egypte 1798- 1800, Le Caire , Institut FranÇais d' Archéologie orientale, 1995, Vol . 3,p. 178.

(4) Reybaud :op cit , T. III, p. 344 .

(5) Ibid : p . 345 .

على الوجه الأكمل [١] بعدما استقبل الطاعون الفرنسيون في شهورهم الأولى بالمدينة ، ولكي تصبح هذه المؤسسات الصحية المستحدثة في حالة تسمح لها باستقبال المرضى الذين زاد عددهم زيادة واضحة خلال فترة وجيزة [٢] وراح ضحيتها عدد كبير من الفرنسيين وعلى رأسهم المواطن ماسيليه Masclet من أعضاء اللجنة الطبية والحامل لدرجة جراح من الطبقة الأولى [٣]. وأمرت القيادة الفرنسية عند استقرارها بالقاهرة مديري هذه المستشفيات بمراسلة المدير العام لمالية الحملة فيما يحتاجون إليه من أموال حتى يتم إنجاز المهام الموكلة إليهم في أسرع وقت دون إبطاء [٤] .

وأحكم الحصار الصحي حول الإسكندرية بإنشاء المحاجر إلى جوار مداخل المدينة الرئيسة وأهمها باب رشيد لمنع دخول أو خروج أية مواد غذائية دون الكشف عليها واختبارها من قبل الأطباء لتحديد مدى صلاحيتها للتداول وهو إجراء لم تعرفه البلاد من قبل . وأجبر المحجوزين بالمحاجر على غسل ملابسهم وتطهيرها وحصولهم على شهادة تفيد سلامتهم ووقايتهم من الأمراض والأوبئة [٥] .

ومع أول شتاء يواجهه الفرنسيين في مصر؛ أصابهم وباء الطاعون بعنف في الإسكندرية ، ورشيد ، ودمياط ورأوه رأى العين بعدما سمعوا عنه الكثير ، وشخصت بعض الحالات المرضية للجنود المصابين في البداية بأنها " حمى وبائية قبل التأكد من أنه وباء " الطاعون الدملى " الذي أمر القائد العام بعدم إذاعته على الجنود ، ونجح في البداية بالتعاون مع طبيبه الدكتور أوميارا O' Meara في إقناع الجنود بأن هذا " المرض " ليس هو الطاعون الذي يسمعون عنه بل إنها " حمى " مصحوبة بالدمامل بعد

---

(١) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ١٠/١٠/١٧٩٩ – ٥/٧/١٨٠٠م ، وثائق أرقام B6 – 148-676, 564 .

(٢) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ١٦/١٠/١٧٩٩ – ١٥/١١/١٧٩٩م وثيقة رقم(4) مؤرخة في١٦أكتوبر١٧٩٩.

(٣) أحمد اسماعيل السيد : مرجع سابق ، ص ٣٣٦ .

(٤) Rousseau,M.F:Kléber et Ménou en Egypte dépuis le départ de Bonaparte, paris ,1900,p.55.

(٥) Déscription de L' Egypte . , T.XVIII,I er part. PP.39 – 40 .

ما قام الأطباء الفرنسيين وعلى رأسهم ديجنيت بتصنيف حالات الإصابة بالطاعون إلى ثلاثة درجات :

الدرجة الأولى : وهى إصابة الموبوء بحمى خفيفة لا يصاحبها هذيان مع ظهور بثور على سطح الجلد أشبه بالخراريج .

الدرجة الثانية : إصابة الموبوء بحمى شديدة مع هذيان وظهور بثور على سطح الجلد ، يتحول لونها إلى السواد .

الدرجة الثالثة : وهى أخطر أنواع الإصابة بالطاعون وأصعب درجاته حيث يصاب الموبوء بحمى شديدة جداً مصحوبة بهذيان شديد مع ظهور الخراريج السوداء على جلده ، وتؤدى هذه الحمى إلى سرعة ضربات القلب وارتعاش المريض في حركة عصبية يصعب التحكم فيها [١] .

ونجح بونابرت في رفع روح جنوده المعنوية بالتجول داخل المستشفيات على مرأى من جنوده والاتجاه نحو فرش المصابين والجلوس معهم والاحتكاك بهم ؛ فنجح بعمله هذا إلى حد كبير فى تشجيع المرضى والأطباء على مقاومة " المرض " [٢] .

وأصدر القائد العام أوامره المشددة لقيادة الإسكندرية لاتخاذ إجراءات صارمة لوقف انتشار الطاعون ، فأرسل لقائد الموقع الجنرال مارمون Marmont بوجوب استحمام الجنود فى مياه البحر خلال شهري ديسمبر ويناير ، مع تكليف أحد كبار الأطباء للمرور بصفة دورية على المستشفيات وزيارة المرضى والمصابين، وتشديد الرقابة على أداء الموظفين والخدم بهذه المستشفيات وفى حالة تقاعسهم عن أداء واجبهم في تلك الظروف الصعبة وعدم بذلهم العناية الكافية لمرضاهم بتوزيع الطعام عليهم يجب عليه أن يأمر بإطلاق الرصاص عليهم فى فناء المستشفى التي يحدث بها هذه المخالفات [٣]؛ وقد قام الجنرال فريان بالفعل بتنفيذ هذه التعليمات مع البعض

---

(1) Aubert.Roche,louis:De la peste ou Tuphus d'orient,elibron classics pp124-125
Désgénettes.R.N : op.cit, pp.32-33.

(٢) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص ٢٩٠ .

(٣) De La jonquière : op.cit, T. lV, p. 38 .
Corres pondance de Napoleon I er , T. V Doc.Nos.3569,3909,pp.110,282 .

فارتفعت معنويات المرضى ، ومع ذلك فقد ظل الوباء متفشيا بالمدينة بعد أن قضى مائة وثلاثون فرنسيا نحبهم ، وكتب مارمون إلى الجنرال مينو Ménou قائد رشيد في ١٧ يناير ١٧٩٩ يخبره بأن إحدى الأورطات تفقد كل يوم من ستة إلى سبعة رجال مما سيقضي على كل رجالها في شهر واحد ، ثم ارتفعت أعداد الوفيات إلى سبعة عشر رجلاً في اليوم الواحد ، وبدأ الجنود يتذمرون نتيجة نقص الأقوات والتأخر في دفع مرتباتهم مع سوء أحوالهم النفسية (١) .

ولم يتأخر القائد العام بشجاعته المعروفة عن إصدار أوامره المتتالية لعقاب المقصرين من الأطباء والجراحين الذين توانوا في تقديم العلاج والرعاية للمرضى؛ وذلك بمحاكمتهم عسكرياً باعتبارهم هاربين من ميدان المعركة أمام العدو ووصف المواطن بوييه Boyer – الجراح بمستشفيات الإسكندرية والذي رفض علاج بعض المرضى المصابين بالوباء بأنه " جبان .... وأنه غير جدير بأن يكون مواطناً فرنسياً ... ولسوف يرتدي ثوب امرأة ويطاف به فوق حمار في شوارع المدينة ، وتعلق على ظهره لافتة تقول : " إنه غير جدير بأن يكون مواطناً فرنسياً من يخشى الموت " ، وأمر بأن يودع السجن حتى يعاد لفرنسا (٢).

وطبقا لما أوردته المصادر الفرنسية فإن الفرنسيين قد خسروا نحو ١٥٠٠ رجل من قواتهم نتيجة إصابتهم بوباء الطاعون خلال العام الأول لوجودهم بمصر(٣).

٢ – مقاومة الوباء :

لقد نجح الفرنسيون فى تطبيق إجراءات صارمة واحتياطات متشددة لمنع انتشار الوباء ، من ذلك خروج الأفراد إلى الهواء الطلق ،وعدم اتصال الجنود ببعضهم ، وإبعاد الكتائب عن بعضها ، وحرق ثياب ومهمات المرضي (٤) ، وعزل

---

(١) De La jonquière : op.cit, T. lV, p. 38-39 .

(٢) I bid , pp. 2,21 .

(٣) Laurens : op.cit , vol . 2 , p. 511 .

Correspondance de Napoleon I er , T.V, OP.cit , Doc. Nos. 3569 , 3789,pp .111,224 .

(٤) محفظة بدون رقم فترتها من ١٠/١٠/١٧٩٩ – ٥/٧/ ١٨٠٠ م ، وثيقة رقم 2218 – 148 -B6 .

الأصحاء عمن سواهم ، مع تشديد الرقابة على الداخلين والخارجين من المدينة سواء بطريق البر أو البحر . والقضاء على حالة الخوف أو التردد من نفوس الأطباء تجاه معاملة مرضاهم [١] .

وقد أتت أوامر القائد العام الصارمة وأساليب العلاج الناجحة التي استخدمها الطبيب العام ديجنيت والجراح العام لاري في مواجهة الوباء ثمارها منذ البداية في الحد من انتشار الطاعون من خلال الوقاية التي اتبعت مع الجنود مثل تجردهم من ثيابهم يومياً واغتسالهم في مياه البحر جيداً ومراعاة قواعد النظافة العامة ، وقيام الأطباء بفتح "الدمامل" وتطهير أجساد المصابين [٢] . كما أوصوا بالخروج في الهواء الطلق وغسل الملابس والأغطية ونشرها في الشمس والخلاء لتجنب انتقال العدوى عن طريق التلامس وعزل المرضى نهائياً عن مخالطة الأصحاء [٣]. وفي هذا الصدد قام أحد أطباء الجيش وهو باربيس Parbes بإجراء دراسة عن علاقة الأمراض التي تنتشر في مصر بظواهر المناخ في البلاد وتقلبها خلال فصول السنة المختلفة ؛ وقدمها لكبير الأطباء ديجنيت ، وقد أشار باربيس إلي إمكانية استخدام بعض وسائل العلاج التي قام بتجربتها عملياً لعلاج الدوسنتاريا باستخدام عقاقير محلية استحضرها من الأفيون والكافور المهدئ والطرطير وغيرها [٤] .

وبعد دخول بونابرت القاهرة أصدر مجموعة من الأوامر للمصريين هدفها اتخاذ التدابير الضرورية لوقف انتشار الأمراض ووباء الطاعون الذي زحف على القاهرة ، فنودي على الأهالى بضرورة نشر ثيابهم وأمتعتهم في الهواء والشمس لمدة خمسة عشر يوماً ، وفرض على مشايخ الأخطاط والحارات ضرورة متابعة هذه الأوامر والتفتيش على المخالفين ، وقام الفرنسيون بتعيين امرأة ورجلين من رجالهم

---

(١) De la jonquière : op.cit , T.IV , pp . 34 – 36 .

(٢) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص ٢٢٢ .

(٣) محفظة رقم (٤) فترتها من ١٨٠١/١/١١ – ١٨٠١/٢/١٠م ، وثيقة رقم 249 ، رسالة من فريان Friant إلى القائدالعام منو Ménou .

(٤) Désgénettes : op . cit, T.II, p. 53.

يتولوا دخول المنازل للتفتيش والمتابعة والتأكد من نشر الثياب فوق أسطح المنـازل " وكل ذلك لذهاب العفونة الموجبة للطاعون " .

وكانت مهمة المرأة الكشف على أماكن النساء ، " فكان الناس يأنفون من ذلك ويستثقلونه ويستعظمونه ... إنما يريدون بذلك الإطلاع على أماكن الناس ومتاعهم مع أنه لم يكن شئ سوى التخوف من العفونة والطاعون " (١).

وفى أمره اليومي يوم ٢ نوفمبر ١٧٩٨ (٢ برومير مـن السنة السابعة) أصدر القائد بونابرت من مقر قيادته بالقاهرة الأمر رقم (3569) الذي ينص في مادته الأولى على قيام قادة الفرق العسكرية الرئيسية المختلفة بتعيين لجان لحصر المخالفات التي تصدر من العسكريين أو الأهالى ضد الإجراءات الصحية التي أصدرتها القيادة الفرنسية . وقام القائد العام بتحديد هذه المخالفات الواجب العقاب عليها وهى على ثلاث درجات رئيسية ، أهم ما جاء فيها ضرورة وضع المصابين بالوباء في الحجر الصحي وإغلاق المنازل التي يصاب فيها أحد بالوباء ، ومعاقبة أولئك الهاربون من المحاجر أو الذين يتحفظون أو يخبئون متعلقات المحجوزين بالمحاجر (الكورنتينات) ويوضع بالقوة كل المصابين من الجنود أو البحارة في تلك الكورنتينات. وعلى قادة الفرق إخطار القائد العام بأي مخالفات أو عدم تطبيق هذه الإجراءات ، وأوجب مراقبة العاملين والموظفين مراقبة دقيقة . كما تشدد القائد العام في فرض غرامات مالية أو السجن لمدة ثلاثة شهور إذا اتضح وجود إهمال أو نقص في الرعاية داخل المحاجر الصحية من جانب الموظفين معتبراً هذا التقصير بمثابة خيانة للوطن يصل إلى حد الضرب بالنار كما حدث فى أحد محاجر الإسكندرية مع أحد المقصرين (٢) .

ومن الاحتياطات التي أوجبها الفرنسيون على الأهالى منع دفن الموتى بالمقابر المجاورة لمساكن الأهالى ، أو دفنهم داخل المنازل حيث كان الأقباط يحرصون على

---

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، ج٢ ، ص ص ٢١٧، ٣٠٥ .

(٢) Correspondance de Napoleon I er , op.cit,, T. V Doc. No. 3569 , pp.109-110 .

دفن موتاهم بداخل منازلهم ، إلا أن بونابرت أصدر أمراً بمنع هذا السلوك [١] . ونادوا على سكان القاهرة بأن من كان لديه مريض أو مصاب بالطاعون يخبر عنه ، فيتولى الفرنسيون إرسال " حكيم " للكشف عليه " إن كان مرضه بالطاعون أو بغيره " [٢] .

ويتضح من وثائق الجنرال كليبر أن وباء الطاعون قد تسبب فى تصدع الجيش الفرنسى عقب حملة بلاد الشام ، ويؤكد في العديد من مراسلاته أن الطاعون ساهم فى هزيمة الجيش الفرنسى وعدم مقدرته على مواجهة الحلفاء الأتراك والإنجليز [٣].

ومن خلال المراسلات المتبادلة بين القيادتين الفرنسية والإنجليزية خلال فترة الحصار الإنجليزي للشواطئ المصرية يتأكد لنا مدى تعاونهما وحرصهما الشديد على مواجهة ذلك الخطر الزاحف على قواتهما والمحدق بهما وهو الطاعون ؛ إذ يرسل السير سدنى سميث Sir Sidney Smith قائد الأسطول الإنجليزي المحاصر للشواطئ المصرية إلى الجنرال كليبر يرشده إلى وصفة (روشتة) تحتوى على دهان للجسد باستخدام زيت الزيتون تستخدم كعلاج موضعي للبثور والتقيحات السوداء المنتشرة على أجساد المرضى[٤] من خلال تدليك الجسم المصاب بقطعة من الإسفنج النظيف بعد غمسه في الزيت وبحيث يكون التدليك قوياً وسريعاً لمدة ثلاثة دقائق متتالية . كما لاحظ أعضاء اللجنة الطبية الفرنسية أن لنبات الحشيش كمخدر أثر واضح على الجهاز العصبي للمريض كالأفيون opium من أجل جلب الراحة للمريض وتسكين آلامه [٥].
وقد نجح الطبيب ديجنيت بتطعيم نفسه بصديد خراج لمقاومة ميكروب الطاعون وهو برفقة نابليون أمام أسوار عكا [٦].

---

(١) رياض سوريال : المجتمع القبطى فى مصر فى القرن التاسع عشر ، القاهرة ، مطبعة المحبة ، ١٩٨١، ص ٢٥٥ .

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ، ج٢ ، ص ٢١١ .

(٣) Laurens, Henry : opcit, , Vol . 3 , pp, 151 , 278-279 .

(٤) I bid ; pp.285 – 286
Dés génettes : op . cit, T.I, p. 36

(٥) Aubert , Roche . louis : op.cit , pp. 124 -126

(٦) هنرى لورانس : الحملة الفرنسية ... مرجع سابق ، ص ٣٦٣ .

كما نجح الفرنسيون في اتخاذ الاحتياطات اللازمة لوقف انتشار الأمراض والأوبئة بالتنبيه على السكان بجمع القاذورات المتخلفة عنهم بالشوارع سواء في القاهرة أو الإسكندرية وإخراجها بعيداً عن التجمعات البشرية وخلف أسوار المدن ، وإلزامهم بتنظيف الشوارع يومياً (١).

وفي عهد قيادة الجنرال منو (١٨٠٠/٦/١٤ - ١٨٠١/٩/١٧م) تولى الجنرال فريان قيادة أقاليم البحيرة ورشيد والإسكندرية حيث مقر قيادته العامة بالإسكندرية ؛ فأولى رعايته لنظافة المدينة وأرسل إلى المواطن سوربييه Sorbier - مدير التحصينات يستفسر عن أفضل الوسائل التي يجب اتباعها لتحسين الأوضاع الصحية بالمدينة للحفاظ على صحة وأرواح الجنود الفرنسيين ؛ بعدما انتشرت برك المياة الآسنة بشوارعها نظراً لوجود العديد من القنوات المائية المتفرعة عن الخلجان الصغيرة التي تخترق أخطاط وأحياء المدينة مما يؤدي إلى وجود بيئة صالحة لتولد الميكروبات وانتشار الأمراض .

وقد أشار سوربيه على فريان مستمداً أفكاره من تقرير الطبيب ديجنيت بضرورة تصريف هذه المياه الراكدة بإنشاء مجار وبالوعات لتحقيق هذا الغرض ؛ مع ردم البرك والمستنقعات ، وزيادة منسوب ارتفاع بعض الشوارع بانحدار مناسب نحو البحر لتصريف مياه الأمطار فيها ، ونظراً لأن هذه الأعمال كانت ستكلف الخزانة الفرنسية الكثير من الأموال التي هم في حاجة إليها ، فقد تم توجيه المياه فى قنوات صغيرة خلال مجار فرعية من كل اتجاهات المدينة وتصريفها في البحر ؛ مع القيام بتنظيف المجاري المائية القديمة وردمها بالرمال مما أدي إلى نتائج باهرة لم يكن يتوقعها السكندريون أو الفرنسيون أنفسهم (٢) .

---

(١) Charles – Roux : op.cit , pp.103- 104 .

(٢) محفظة رقم ١٦ فترتها من ١٥ /١٠/١٨٠٠ - ٢٩ /١٠/١٨٠٠م ، وثيقة رقم 28، 29 من سوربيه Sorbier إلى الجنرال فريان Friant مؤرخة فى ٢٩ فندمير من السنة التاسعة .
Le Courrier de L' Egypte, No . 83 .

ولم يتوان الجنرال فريان عن إصدار أوامره بفرش شوارع المدينة بالرمال بعد تنظيفها ونقل القاذورات والقمامة ومخلفات الأهالى التي تفسد هواء المدينة إلى خارج النطاق السكني والقضاء على الخرائب التي كانت منتشرة في كل مكان وخاصة في المنطقة الواقعة ما بين المنطقة المأهولة بالسكان وأسوار المدينة القديمة. وتؤكد وثائق الحملة أنه نتيجة لتطبيق هده الإجراءات الصحية لم يمت بسبب الطاعون من القوات الفرنسية المتمركزة بالثغر خلال السنة التاسعة للجمهورية (١٨٠٠م) سوى ثلاثة وعشرون شخصاً فقط [١] .

كما أدت الإجراءات الفرنسية في مجال الصحة العامة بالإسكندرية بمعاونة رئيس الأطباء ديجنيت واللجنة المشكلة من سوربييه، ودانتور Danthouart – مدير المدفعية ، والمواطن فاي Faye – مهندس الطرق والكباري ، يعاونهما واحد من أطباء منطقة الإسكندرية إلى تحسن المستوى الصحي للسكندريين والفرنسيين على حد سواء ؛ خاصة وأنه سمح للأهالي من المصريين بالتردد على المستشفيات العسكرية التي أقامها الفرنسيين ، والتشديد من جانب قيادة الموقع على ضرورة مرور كبير الأطباء على المستشفيات بصفة دورية للتفتيش عليها وتحسين أدائها [٢] .

كما اهتم مهندسو الطرق والكباري بإجراء الصيانة الدورية اللازمة للخزانات المقامة تحت الأرض لتخزين المياه اللازمة للأهالي ولجنود الحملة حيث قام المهندس فاي بهذا العمل بعد أن طمرت الرمال والقاذورات الخزانات وصهاريج المياه العلوية، وحرص الفرنسيون على تطهيرها بعناية تامة لتزويد قواتهم بالمياه العذبة الصالحة للشرب[٣]، حيث كانت تستخدم السواقي التي بلغ عددها ٧٢ ساقية لرفع هذه المياه إلى الخزانات المنتشرة بأنحاء المدينة [٤] .

---

(١) محفظة بدون رقم فترتها من أبريل ١٨٠٠ إلي ١٨٠٠/١٢/٣١م – مذكرة للجنرال فريان Friant تحمل رقم : Carton - B6 – 76 .

(٢) De la jonquière; op. cit ,T. IV . P.33 .

(٣) Thomas , walsh : op.cit, p.235 .

(٤) Lancret et chabrol , M.M,: Mémoire sur le canal d'Alexandrie ,(Déscription de L' Egypte T.XV)paris, panckoucke, 1821,p.370.

وفي القاهرة التي لم تكن أحسن حالا من الإسكندرية فشوارعها كما وصفها الفرنسيون كانت " قذرة " وغير مرصوفة وهي عبارة عن حارات ضيقة ، بيوتها غالباً مظلمة متداعية ؛ باستثناء بيوت الموسرين والأمراء والمماليك ، تمتلئ الشوارع بالقاذورات الملقاة على مداخل الأزقة والمنازل ، وجوها ممتلئ بالغبار كريه الرائحة ينتقل معه العديد من الأمراض التي تصيب السكان ، ومقابر الموتى داخل الكتلة السكنية التي تتخللها البرك والمستنقعات [١] حتى أمر الجنرال بونابرت بردمها وتجفيفها وزرعها بالأشجار [٢] .

ويقول الجبرتي في أحداث يوم الأحد (١٧ شوال ١٢١٣هـ) : " رتبوا أوامر وكتبوها في أوراق مبصومة وألصقوها بالأسواق إحداها بسبب مرض الطاعون ... ، وهي المحافظة من تشويش الكبة [الوباء] وكل من تيقنتم أو ظننتم أو توهمتم أو شككتم فيه ذلك في محل من المحلات أو بيت أو وكالة أو ربع ، يلزمهم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرنتيلة ويجب قفل ذلك المكان ويلزم شيخ الحارة أو السوق الذي فيه ذلك أن يخبر حالا قلق الفرنساوية حاكم ذلك الخط والقلق يخبر شيخ البلد قائمقام مصر وأقاليمها ويكون ذلك فوراً .." وملزوم أيضا من أصابه هذا التشويش [الطاعون] أو حصل في بيته لغيره من عائلته أو عشيرته وانتقل من بيته إلي آخر أن يكون قصاصه الموت وهو الجاني علي نفسه بسبب انتقاله ... " ، " وكل رئيس ملة [طائفة دينيه] في خط إذا لم يخبر بالكبة الواقعة في خطه أو بمن مات بها أيضاً حالا فوريا كان عقاب ذلك الرئيس وقصاصه الموت ... "وكذلك مجازاة المغسل كان رجلاً أو امرأة إذا لاحظ موت الشخص بالطاعون أو تشككه في ذلك أن يخبر الفرنسيين في خلال ٢٤ ساعة وإلا فجزاؤه وقصاصه الموت " [٣] .

وفي القاهرة قام قائدها الجنرال دوجا Dugua حين كان بونابرت وكبار قواده في بلاد الشام ؛ ببعض الإجراءات الصحية لوقف انتشار وباء الطاعون في البلاد ؛ فأصدر عدة أوامر لاتباع الاحتياطات الكفيلة بمواجهة الوباء ، وقرر فيه فرض

---

(١) فوزي السيد السيد المصري : تاريخ تعليم الطب ، مرجع سابق ، ص ٤ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٧ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ، ج٢ ، ص ص ٢٦٣ – ٢٦٤ ، ٣٠٦.

عقوبات صارمة على كل من يتهاون في تطبيق ما أمر به الفرنسيين ، متوعداً من يتستر على إحدى حالات الوباء ولا يخبر عنها بالجلد مائة كرباج ، أو من انتقلت العدوى من بيته إلى بيت آخر يعاقب بالموت ، وقام حاكم القاهرة بتكليف الأطباء ببذل مجهود مضاعف للحد من انتشار العدوى (١) .

ومع ذلك فقد سمحت القيادة الفرنسية بإقامة الموالد والاحتفالات بل ومشاركة ضباطها وجنودهم للمصريين في هذه الموالد بما يرتكب فيها من جميع الموبقات والفجور والأمور المخالفة للشريعة ، " واجتماع النساء والاختلاط بالرجال ، واتباع الشهوات ، والملاهي ، وفعل المحرمات ، " وهو ما أدى إلى انتشار الأمراض والأوبئة (٢).

ومن أهم ملاحظات الأطباء الفرنسيين على أسباب انتشار الطاعون هو مخالطة الرجال للنساء المشبوهات وبنات الهوى ؛ ولذلك فرض القائد الفرنسي حظراً لمدة ثلاثين يوماً على كل الناس " إن كان فرنساوياً ، أو مسلماً ، أو روميا أو نصرانياً أو يهودياً.." ، أنه إذا أدخل أي واحد منهم امرأة مشبوهة من النساء والبنات إلى بيته ، يكون عقابه الموت ، وإذا دخلت أى امرأة مشبوهة من نفسها المدينة تعاقب بالموت (٣)

وكان القائد العام بونابرت وقبل توجهه على رأس حملة الشام قد عهد إلى علماء المجمع العلمي الفرنسي بمصر بالبحث عن أسباب الطاعون الذي يفتك بالفرنسيين والمصريين على السواء ووسائل الوقاية منه (٤) .

كما أبدى الجنرال كليبر Kléber منذ بداية توليه قيادة الحملة (١٧٩٩/٨/٢٣ – ١٤ يونيو ١٨٠٠م) اهتماماً ملحوظاً بالرعاية الصحية لجنوده ؛ فمنذ اليوم التالي لقيادته قام بزيارة مستشفيات القاهرة للتفتيش عليها وأبدى الكثير من الملاحظات على أدائها مما يدل على حرصه على رعاية جنوده (٥) .

---

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ص ٣٠٣ ، ٣٠٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ص ، ٢٧٢ – ٢٧٣ ، ٢٩٠ .

(٤) Le Courrier deL'Egypte ; No. 34 .

(٥) I bid ; No . 38.

خامساً : انتشار مرض الزهري Vénériens وموقف الفرنسيين :

تعرف أطباء الحملة نتيجة جهودهم المشتركة مع العلماء على أسباب انتشار أحد الأمراض المعدية الجديدة والذي لم يكن يعرفه المجتمع المصري المتمسك بالتقاليد الدينية ؛ ألا وهو مرض الزهري Vénériens بجانب حالات وباء الطاعون التي بدأت في الازدياد بعد رحيل بونابرت يلازمها سوء الأحوال الاقتصادية لقوات الحملة التي تمكن كليبر من التصدي لها على عجل (١) .

وواجه الفرنسيون هذا المرض الجديد (الزهرى) الذى انتشر بشكل مخيف بين الجنود والضباط نتيجة المخالطة غير السوية والمعاشرة المحرمة بين الرجال والنساء . وكان الجنرال برتييه Berthier – رئيس أركان الجيش الفرنسى قد أصدر أوامره بناء على تعليمات القائد العام بونابرت منذ الأيام الأولى للوجود الفرنسي بمصر " بمعاقبة أولئك الذين يقومون بأعمال السلب والنهب أو التعدى على النساء رميا بالرصاص ... " (٢). كما أنه أمر بالقضاء على البغايا أنفسهن ؛ فقام بتكليف " أغا الإنشكارية " بالقبض على " أربعمائة منهن وقطع رؤسهن ووضعهن في غرائر وإلقائهن في النيل " (٣).

على أن الحالات المرضية الجديدة أزعجت القائد العام الذي أمر رئيس الأطباء ديجنيت ببحث الأمر وتقديم تقرير سريع عن الأحوال الصحية للجنود في ظل التطورات الجديدة ؛ فقام ديجنيت بتشكيل لجنة طبية في شهر يناير ١٨٠٠م من المواطنين تاليان Tallien ، وديبرا Duprat ، وجيرار Girard . وجاء في تقرير اللجنة أنه يجب العمل على تحسين أحوال المستشفيات والمصحات وأساليب أدائها ، مع التوصية بنقل المرضى من أصحاب الأمراض المزمنة والذين ستطول فترة علاجهم إلى فرنسا مما دفع القيادة الفرنسية إلى محاولات التفاوض بشأنهم مع الأتراك

---

(1) محفظة بدون رقم فترتها من ١٨٠٠/١/١ – ١٨٠٠/١/٣١ ، وثيقة بدون تاريخ رقم 2015 .

(2) De la jonquière : L' Expédition , op.cit , T.II , P. 56 .

(٣) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص ١٧٣ .

والإنجليز للسماح لهم بالسفر إلى فرنسا على متن سفن الحلفاء ، وقد نجح الفرنسيون في هذه الجهود [١] .

وقد أصبح مرض الزهري يحتل المرتبة الثانية بين الأمراض والأوبئة التي أصيب بها جنود الحملة في مصر بعد الطاعون ؛ وأكدت المصادر الفرنسية أن إصابات الفرنسيين بهذا المرض جاءت نتيجة الاختلاط السيئ المشترك بين الرجال والنساء ؛ مما يدل على أن الفرنسيين أشاعوا الفساد الجنسي بين أبناء مجتمع شرقي مسلم تحرم عقيدتهم هذا الاختلاط المحرم [٢] .

ويصف لنا الجبرتي صوراً واقعية من صور الانحلال التي وقعت فيها بعض المصريات "اللائي تبرجن وخرجن عن الحشمة والحياء متشبهات بالفرنسيات" اللائي حضرن إلي مصر مع أزواجهم أو رفقائهم من الرجال وكانوا يمشون سويا في الشوارع ، " والنساء حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ويسدلن علي مناكبهم الطرح الكشميري والمزركشات المصبوغة ويركبن الخيول والحمير ويسوقونها سوقا عنيفاً مع الضحك والقهقهة ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة ؛ فمالت إليهن نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء وبذل الأموال لهم . وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة في إخفائه " وعندما قامت ثروة القاهرة الثانية في مارس ١٨٠٠م ، وتمكن الفرنسيون من إخمادها فتكوا بأهل حي بولاق معقل تلك الثورة " وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات صرن مأسورات عندهم فزينوهن بزي نسائهم وأجروهن على طريقهم في كامل الأحوال فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر ...." "ومع شدة رغبة الفرنسيين في كامل النساء طرحن هؤلاء الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار لميل النفوس إلي الشهوات وخصوصاً من القاصرات " .

ويؤكد الجبرتي علي أن الكثير من الفرنسيين قاموا بخطبة بنات الأعيان من المصريات وتزوجوهن ولم يرفض هؤلاء الأعيان رغبة في التقرب من سلطان

---

(١) Le Courrier de L' Egypte ; No. 55 .

(٢) وجيه على أبو حمزة : مرجع سابق ، ص ٢٠٥ .

الفرنسيين ونوال رضاهم ؛ فما كان على الفرنسيين إلا أن ينطق الواحد منهم بالشهادتين " لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها ....." وأصبح منهم رؤساء الأخطاط يسير في ركابهم النساء المسلحات متزينات بزيهم ويشاركونهم النظر في أمور الرعية والأمر والنهي " وأما الجواري السود فإنهن لما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثي ذهبن إليهم أفواجاً وفرادى " (١).

وقد كانت هناك حالات كثيرة من الزواج تمت ما بين الفرنسيين والمصريات أقرها رجال الدين بشرط أن ينطق الفرنسي بالشهادتين فيسمح له بالزواج ، وإن كان أغلب تلك الحالات اتخذت من النطق بالشهادة وسيلة للزواج (المؤقت) من المصريات دون رغبة حقيقية في اعتناق الإسلام ، على أن المصادر الفرنسية أو العربية المعاصرة لم تطالعنا مطلقاً بأي حالة من حالات هذا الزواج المؤقت في سجلات المحاكم الشرعية المصرية باستثناء حالة واحدة وهي وثيقة زواج الجنرال (عبد الله جاك منو) من زبيدة ابنة السيد أحمد الخشاب – أحد أعيان رشيد بسجلات محكمة البحيرة الشرعية ، كما لم تطالعنا المصادر الفرنسية المعاصرة كذلك بتسجيل أي حالة من حالات زواج الفرنسيين من المصريات ، ووقفت المصادر صامتة إزاء هذا الوضع الجديد ربما خوفاً من الإعلان عن اعتناق عدد كبير من الفرنسيين للإسلام كأحد الأبواب الشرعية للزواج المؤقت ، أو أن المجتمع المصري الشرقي بتقاليده وعاداته قد وافق على هذا الزواج على مضض واستحياء .

ونستنتج من مجموع الرسائل التي أرسلها دور إلى الجنرال داماس Damas عن حالة مستشفي إبراهيم بك خلال شهر مارس ١٨٠٠م والتي يتضح من خلالها ارتفاع الخط البياني لمرضي تلك المستشفي بالزهري ليصل إلى (١٧٦) مريض، وهي أعلي نسبة بالمقارنة بالنزلاء المصابين بالأمراض الأخرى ، نتيجة للاختلاط الجنسي مع بائعات الهوى المصريات المرضى بهذا المرض ، أو الاغتصاب الذي مارسه الفرنسيين في حالات كثيرة رصدتها المصادر الفرنسية ذاتها مما سبب قلقاً شديداً لدي القيادة الفرنسية ؛ فأصدر الجنرال بليار Belliard – قائد منطقة القاهرة في ١٩يونيو ١٨٠٠ أمره العسكري لجنوده بعد أن ضج سكان العاصمة بشكاواهم للقيادة

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ص ٤٣٦ – ٤٣٧ .

الفرنسية باختطاف الفرنسيين لبناتهم ونسائهم من الشوارع والتوجه بهم لداخل المعسكرات وانتهاك أعراضهم وهو ما كان يتنافى مع عادات وتقاليد مجتمع إسلامي محافظ متمسك بأوامر الشريعة الإسلامية ، وحقوق الإنسان التي نادت بها الثورة الفرنسية . وبناء عليه فقد أصدر الجنرال بليار أمره العسكري المكون من أربع مواد:

المادة الأولي : كل جندي سيغتصب امرأة سيحاكم أمام مجلس عسكري .

المادة الثانية : كل صف ضابط أو جندي يقود إمرأة إلي المعسكر يقبض عليه ويقاد مع المرأة إلي مكتب الشرطة (الفرنسية) وسيعاقب بكل قسوة ، وستعاد المرأة إلي والديها ، وإذا كانت بدون أهل فسوف تسلم لأحد الأهالى ، أو تطرد من القاهرة إذا كانت بدون إقامة بالمدينة.

المادة الثالثة : تتقدم النساء أو الفتيات اللاتي أجبرن علي دخول المعسكرات الفرنسية إلي القضاء للفصل في شكاواهم .

المادة الرابعة: النساء العاهرات هن سبب هذا التهيج الجنسي الحادث بين الجنود ، وتفشي الأمراض بينهم ، ولذلك يجب علي شيوخ الأخطاط (الأحياء) ، وأغا الانكشارية أن يقبضوا علي هؤلاء النسوة من أحيائهم لطردهم خارج القاهرة .

وقد قام الجنرال بليار بتكليف ضابطين للقيام بالقبض علي هؤلاء العاهرات خلال ثمانية أيام[١].

ولكن هل هذه القرارات المتشددة منعت الجنود الفرنسيين من الممارسة الجنسية المحرمة واغتصاب المصريات ؛ فلم يحدث ذلك حتى خروجهم من البلاد . وتؤكد المصادر الفرنسية المعاصرة أن بعض الجنرالات والكثير من الجنود الفرنسيين اقتحموا المنازل في المدن والقرى واعتدوا علي النساء المصريات ؛ بل بلغ بهم الأمر ألا يخشوا تواجد أصحاب المنازل من الرجال ، فكانوا يتصرفون معهم ومع نسائهم وكأنهم أسرى حرب ، علي الرغم من أوامر بونابرت المتكررة بمنع العسكريين من الإتيان بمثل هذه التصرفات التي تضر بمصالح الفرنسيين وتعوق تحقيق أهدافهم مما أشعل في

---

(١) محفظة بدون رقم فترتها من ١٧٩٩/٨/١٣ – ١٨٠٠/٨/٨ م ، وثيقة رقم B6 – 145 .
نقلاً عن : وجيه على أبو حمزة : مرجع سابق ، ص ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .
الجبرتي : عجائب الآثار ، ج٢ ، ص ص ٢٧٢ – ٢٧٣ ، ٤٣٦ – ٤٣٧ .

المصريين حمية الثورة ضد المحتلين [١] . وكان من جراء هذه التصرفات اللاأخلاقية أن انتشر بينهم هذا المرض اللعين، فأصبحت حالتهم الصحية غير مرضية وهم أبناء الثورة التي دافعت عن حقوق الإنسان وحرياته ، فانتهكوا هذه الحقوق والحريات وقام الجنود بانتهاك الأعراض مخالفين بذلك أوامر قائدهم العام التى أصدرهاعرض البحر قبل نزولهم علي شاطئ الإسكندرية مخالفين التحذيرات المتكررة له فغلبتهم شهوتهم الدنيوية وملذاتهم الحيوانية فاصطدمت أفعالهم بمبادئ العقيدة الإسلامية وكان الصدام بين الشرق والغرب علي أرض مصر. وعلي العكس فإن مستشفي المعسكر التركي علي الجانب الآخر – ومن خلال تقرير دور لقائده العام كليبر في شهر مايو ١٨٠٠م لم يكن به سوي مريض واحد مصاب بالزهري من بين جميع المرضي والجرحى الذين يتولى علاجهم طبيب فرنسي ، وستة أطباء أتراك حيث قام الطبيب لاري بزيارتهم والاطمئنان عليهم [٢] .

ولم ينته الفرنسيون عن غيهم طوال عهد الجنرال كليبرالذي تمكن من القضاء علي ثورة القاهرة الثانية ؛ فعندما اقتحموا مدينة القاهرة بعد ثورتها الباسلة عليهم أصبح الكثير من منازلها أطلالا وغنم المحتلون ما غنموه بما في ذلك عدد كبير من النساء ظلوا يعاشرونهن معاشرة الأزواج طوال السنة الباقية التي قضاها الجنود بالقاهرة حتى تسليم الجنرال بليار للقوات البريطانية [٣] في يوم ٢٧يونيو ١٨٠١م ؛ مما أدي إلي استمرار بقاء المرض بين بعض أهالي القاهرة .

ومما يذكر للجنرال منو من أعمال محمودة باعتباره زعيما لأنصار فريق البقاء في مصر وعدم مغادرتها ، معالجته أمر النساء العاهرات les femmes publiques والذي استشرى بغيهن في عدة أحياء بالقاهرة وبالذات في حي بولاق ، وكان الهدف الحقيقي من إجراءات الجنرال منو للقضاء عليهن ووقف نشاطهن هو

---

(١)محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ١٨٠٠/١٢/٣٠ – ١٨٠١/٩/٢٢م، ملف رقم14 B6 – 70
Friant au général en chef Ménou à Alexandrie à 4 juin 1801 .

عبد الله خطاب هبالة : مرجع سابق ، ص ٢٢٤ .

(٢) وجيه على أبو حمزة : مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

(٣) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص ٣٧١ .

تخفيف وطأة وعواقب مرض الزهري ؛ الذي استشرى بشكل واضح بين جنودة جراء تلك المعاشرة غير المشروعة ؛ والتي أدت كذلك إلي مقتل عدد غير قليل من الفرنسيين باستدراج هؤلاء النسوة لهم ؛ إذ كان بعضهن يصحبن الجنود الفرنسيين إلي منازلهن ليجدوا رجالا أشداء مستعدون لاغتيالهم [١]؛ ولذلك حرم الجنرال منو على جنوده التجمع في أماكن وجود العاهرات والالتزام بالتواجد بمعسكراتهم ، كما أرسل إلى قائد معسكر بولاق يطالبه بالحذر والاحتياط ؛ بعد أن تواجد بالحي عدد كبير من النساء العاهرات؛ وأمره بالقبض عليهن وإيداعهن السجن[٢].

وكانت أعراض المرض ظاهرة تبدو على هيئه قروح تظهر على الفم وأعضاء التناسل، وعرفه المصريون بعدة أسماء منها "البلا"، والمبارك"،وداء المعيز والجمال "، والحب الإفرنجى".واستخدمت أملاح الزئبق علاجاً ناجعاً له إلى جانب استخدام الزئبق المعدني مرهما لتدليك الجلد ، كما عولج باستخدام مركبات اليود والزرنيخ ، والمحاليل المطهرة ، واستخدام الحمامات الشمسية بدفن أغلب أجزاء الجسم في رمال الصحراء كما لجأ المصريون إلى شرب الزيت الحار النقي كوسيلة للعلاج ، على أن أهم سبل الوقاية منه تمثلت في عدم التعرض للعدوى و مخالطة المصابين بالمرض أو ملامستهم .

وقد تشابه هذا المرض في أسباب حدوثه وأعراضه وطرق علاجه والوقاية منه مع مرض جنسي آخر هو السيلان [٣].

---

(١) وجيه على أبو حمزة : مرجع سابق ، ص ص ٢٩٥ – ٢٩٦ .

(٢) محفظة بدون رقم فترتها من ٢١/ ٤/١٨٠١– ١٢ /٥/ ١٨٠١م ، وثيقة رقم B6 – 133 - 1645 نقلاً عن المرجع نفسه ، ص ٢٩٦ .

الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ص ٢٧٢ – ٢٧٣ .

(٣) فوزي السيد السيد المصري : تاريخ الأوبئة ... مرجع سابق ، ص ص ١٠١ – ١٠٢ .

سادساً : الطاعون في أواخر أيام الحملة :

ولقد تكالبت النكبات على جيش الشرق L' Armée d' orient مع بداية عام ١٨٠١م إثر زحف القوات العثمانية والبريطانية صوب مصر في حملة مشتركة لإخراج الفرنسيين عنوة من البلاد المصرية مع انتشار وباء الطاعون الذي داهم القوات الفرنسية المتواجدة في أنحاء البلاد ؛ فأفقدهم الروح العسكرية القتالية [١]، واشتدت وطأة الوباء القاتل في شهور الشتاء الأخير لهم في مصر من ذلك العام ؛ مما سبب لهم انزعاجا شديدا ؛ فبدأوا في اتباع إجراءات الوقاية التي أوصت بها اللجنة الطبية بتجريد محال إقامتهم من الفرش الحاملة لميكروب الوباء ، والاهتمام بالكنس ، وغسل الملابس وتطهيرها " وشرعوا في عمل كرنتيلات " [٢] ، وفرضوا على الأهالى ألا يدخل غريب بيوت أحدهم ، ومن كان لديه مريض بالطاعون أن يبلغ عنه ، ومن مات به فيجب الإبلاغ عنه و إلا تعرض لعقوبة القتل[٣] ، وفرض على أعضاء ديوان القاهرة إذاعة هذه الأوامر على الأهالى .

وتشددت القيادة العامة الفرنسية في اتباع إجراءات الحجر الصحي ، كما شدد قائد قيادة القاهرة الجنرال بليار على ضرورة قيام القومندان ديشوم Duchaune بالسهر ليلاً والتجول في أحياء المدينة لحصر الموتى بالطاعون ودفنهم في أعماق الأرض حتى لا ينتشر الهواء الحامل للوباء بين جنود الحملة وضباطها بل وأطبائها المنوط بهم علاج المرضى ومخالطتهم ؛ فقد رفض بعض الأطباء معالجة المرضى خوفاً من انتقال العدوى إليهم كما حدث بالإسكندرية إبان قيادة بونابرت الذي أمر بتنفيذ حكم الإعدام عليهم .

ولم يلق نزلاء المستشفيات من الجنود الرعاية الكاملة الصحية أو الغذائية مما أدى إلى التذمر وتقديم العديد من الشكاوى للجنرال بليار [٤]. فزادت أحوال القوات

---

(١) وجيه علي أبو حمزة : المرجع نفسه ، ص ٣٠٢ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ، ج٢ ، ص ٢٦٣ ، ٢٦٣ .

(٣) Correspondance de Napoleon I er , op. cit T. V, Doc. No 3569,p.110.
الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ص ٣٠٣ – ٣٠٤ .

الفرنسية سوءًا على سوء في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ حملة مصر، ويصف لنا هذا المشهد اثنان من المؤرخين المعاصرين أحدهما فرنسي والآخر مصري ، أما الفرنسي فهو المهندس جومار Jomard فيقول إن الطاعون كان فتكه ذريعا بأهل القاهرة والفرنسيين على السواء ؛ فقد مات بسببه في شهر واحد عشرة آلاف شخص من سكان القاهرة (١)، أما مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتي فيصف هذه الأحوال في صورة مأساوية (تراجيدية) فيقول : " فى كل يوم يموت من الفرنسيين الكائنين بالقلعة الثلاثون والأربعون ، وينزلون بهم من كرنتيلة القلعة على الأخشاب مثل الأبواب كل ثلاثة أو أربعة سواء يحملهم الحمالون، وأمامهم اثنان من الفرنسيين يمنعون الناس ويباعدونهم عن القرب منهم إلى أن يخرجوا بهم من باب القرافة ، فيلقونهم في حفر عميقة قد أعدها الحفارون ، ويهيلون عليهم التراب حتى يعلوهم ، ثم يلقون صفا آخر ويغطونهم بالتراب ، وهكذا حتى تمتلئ الحفر .. فيكون في الحفرة الواحدة اثنا عشر وست عشر وأكثر فوق بعضهم البعض وبينهم التراب ، يرمونهم بثيابهم وأغطيتهم ، وتواسيمهم (النياشين) ، وأحذيتهم التي في أرجلهم ... وقد انتشر هذا البلاء في جميع البلاد شرقاً وغرباً وشاهدنا منه العجائب ... ، وأغلقت الأسواق وعزت الأكفان ، وصار معظم الناس بين ميت ، ومشيع ، ومريض ، وعائد حتى أن الإنسان لا يدرى بموت صاحبه أو قريبه إلا بعد أيام ، ويتعطل الميت في بيته من أجل تجهيزه فلا يوجد النعش ، ولا المغسل ، ولا من يحمل الميت إلا بعد مشقة شديدة ؛ وأن أكبر كبير إذا مات لا يكاد يمشى معه ما زاد على عشرة أنفار " (٢) ولقد ظل وباء الطاعون يفتك بأرواح الفرنسيين والمصريين على السواء حتى خروج الحملة من مصر في شهر سبتمبر من نفس العام . وقد حرصت القيادة الفرنسية منذ البداية على فرض الاحتياطات الضرورية لمنع انتشار الوباء ؛ فحينما قام القائد العام للحملة الجنرال كليبر بتوقيع معاهدة العريش مع الأتراك العثمانيين في ٢٤ يناير ١٨٠٠م

---

(١) Jomard,M,: Déscription de La ville et la citadelle du caire , accompagnée de l' Explication des plans de cette ville et de ses environs et des renseiegnemes sur sa distribution, ses monumens , sa population , son commerce et son Industrie . (Déscription de l' Egypte) , T.VIII, 2 em part , p.44.

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ص ٤٢٦ – ٤٢٧ .

للجلاء عن مصر؛ اشترطت المادة العشرون من المعاهدة عدم السماح لأي من المرضى المصابين بالطاعون أو أولئك المشكوك فى إصابتهم بهذا الوباء النزول إلى السفن التي ستقلهم لفرنسا أو مغادرتهم مصر ، وذلك للإحتراز من انتقال الطاعون من البلاد إلى فرنسا ، وفرض الاتفاق أن يمكث هؤلاء المرضى أو المشتبه في مرضهم بالمستشفيات العسكرية بمصر تحت رعاية وإشراف الصدر الأعظم ، حيث يتولى الأطباء الفرنسيين معالجتهم لحين إتمام شفائهم ؛ ثم يتم ترحيلهم إلى فرنسا في أسرع وقت ، وتطبق عليهم أحكام المادتين الحادية عشر بحصولهم على تراخيص السفر بالبحر في أمان حتى وصولهم لفرنسا ، والثانية عشر التي تنص على تأمين حياتهم منذ نزولهم بالسفن التي لا يجب الاعتداء عليها من جانب الأتراك أو الإنجليز حتى بلوغهم الموانئ الفرنسية .

وقد أضافت المادة العشرون بأنه يجب على القائد العام الجنرال كليبر أن يبذل قصارى جهده ويصدر أوامره الصارمة لضباطة ومرؤوسيه بألا يسمحوا لأولئك الذين تم شفاؤهم بالنزول في إحدى الموانئ البحرية بخلاف الميناء المتفق عليه مع الأطباء الفرنسيين حتى يتعين محاصرة الوباء بوضعهم في المحاجر الصحية بذلك الميناء لعدة أيام حتى يتم التأكد من عدم انتقال الوباء من مصر إلى فرنسا [١].

ومع بداية فترة قيادة الجنرال منو ظهر الوباء الذى أزعج الفرنسيين " وجردوا مجالسهم من الفرش وكنسوها وغسلوها وشرعوا في عمل كرنتينات ومحافظات " ، فقد أرسل القائد العام لوكيل الديوان بضرورة التنبيه علي الأهالى بالإبلاغ عن الحالات التي تصاب بالوباء منهم لإدخالها الحجر (الكورنتينة) ، ومن يتغافل عن ذلك من أرباب الديوان يصبح قصاصه الموت إذا تأكد مخالفته ويقول مينو " يجب أن يتفق معنا أرباب الديوان لأن حفظ الصحة واجب ولذا نرى كثيراً من الناس ولاسيما المتشرعون (المشايخ) يستعمل الطبيب عن المرض وغايته حفظ الصحة ..... ونذكر لكم أن بلاد

---

(١) La convention d' El – Arich (ehez: L aurens, op.cit, T.4, pp.541-548).
ويمكن الرجوع إلي : الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ص ٣٠٩ – ٣١٦ .
(أحداث ٢٨ شعبان ١٢١٤ هـ / ٢٤ يناير ١٨٠٠م) .

الغرب قد اعتمدوا فعل الكرنتينة الآن فعلماء القاهرة أولي بأن لا يتأخروا عن استعمال الوسائط إذ قد ربطت الأسباب بالمسببات ... "

وأكد منو على ضرورة الحذر ، فإذا ما " دخل الطاعون بيتا ألا يدخل فيه أحد ولا يخرج منه أحد ... " وشدد على الإذعان للأوامر الفرنسية وطاعتها وعدم مخالفتها [١]. وقد شاع بين الناس بالقاهرة بأن الفرنسيين لن يكتفوا بإلحاق المصاب بالطاعون بالكورنتينة فقط بل تحرق ثيابه والدار التي يموت فيها [٢] .

ورغم هذه الإجراءات الفرنسية التي لم تتوقف لتخفيف حدة الطاعون فقد أصيب الجنرال منو به قبل رحيله مع قواته إلى فرنسا خلال شهر سبتمبر وأكتوبر ١٨٠١م ، وسهر على علاجه الطبيب لارى مع بقية المرضى وهم كثيرون ؛ استقبلتهم عنابر الحجر الصحي عند وصولهم إلي موانئ جنوب فرنسا [٣].

وقد بلغ من مات من الفرنسيين أثناء تواجدهم بمصر نتيجة الإصابة بالأمراض والأوبئة نحو ٨٩١٥ شخصاً منهم ١٦٨٩ ماتوا نتيجة الإصابة بالطاعون رغم الجهود المضنية للفريق الطبي المرافق للحملة لمقاومة هذه الأمراض والأوبئة [٤]. ومما يحسب لكبير أطباء الحملة ديجنيت أنه كلف أعضاء الفريق الطبي بإعداد إحصاءات دورية عن وفيات القاهرة طوال سني الحملة اتضح منه أن كثرة وفيات الأطفال في الأسابيع الستة الأولى من ولادتهم ، وأن الجدري هو أكثر الأمراض حصداً لهم ، وأن عدد وفيات القاهرة بلغ ٥٨٩٥ في سنة واحدة أغلبهم من الأطفال يليهم النساء [٥].

ومع جلاء الفرنسيين من مصر في أواخر عام ١٨٠١م عاشت البلاد عدة سنوات من الفوضى السياسية والاقتصادية بما صاحبها من إهمال واضح للصحة العامة ؛ ذهبت على أثرها جهود فريق أطباء الحملة أدراج الرياح ؛ وعاد المصريون الذين

---

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٢ ص ص ٤٠٩ ، ٤١٥.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤١٦ .

(٣) هنرى لورانس : الحملة الفرنسية .... مرجع سابق ، ص ٦٠٠.

(٤) محمد شاهين : حالة مصر الصحية في الوقت الحاضر ، ضمن حضارة مصر الحديثة ، القاهرة، المطبعة العصرية ، ١٩٣٣م ، ص ١٠٣ .

(٥) المرجع نفسه والصفحة .

لمسوا رياح التغيير الجديدة إلى الإعتماد مرة أخرى على الوصفات البلدية كوسيلة للعلاج ، كما عادوا إلى ممارسة عاداتهم القديمة فى دفن موتاهم وسط الأحياء، وانصرفوا إلى الدجل والشعوذة والسحر يلتمسون فيها العلاج والشفاء[١]، وضاعت جهود العلماء الفرنسيين سدى ، وظل الأمر كذلك حتى تمكن محمد على من ولاية مصر عام ١٨٠٥م ، واستدعى الأطباء الأجانب بدءًا من عام ١٨٢٤ م وعلى رأسهم الدكتور "كلوت" Clot الفرنسي للإعتماد عليهم في العناية بصحة رجال الجيش والأسطول ، والذي يرجع إليه الفضل في إنشاء أول مدرسة للطب بأبي زعبل عام ١٨٢٧م فصارت أساساً لبعث وجود الطب الحديث في مصر[٢]، وعادت الحكمة لمهدها الأول وعلى أيدي أبنائها من المصريين .

(١) فوزي السيد السيد المصري : تاريخ تعليم الطب ... مرجع سابق ، ص ١٧ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٤ .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : وثائق غير منشورة :

أ- عربية :

سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

ب- أجنبية :

وثائق الحملة الفرنسية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

ثانياً : وثائق منشورة :

١- Correspondance de Napoleon I er , Publiée par order de L' empereur Napoléon III, Paris , 1858, vols lV , V .

De la jonquière :L'Expédition d' Egypte 1798 – 1801,T. I, II, lV,V, paris, 1904.

Laurens, Henry: Kléber en Egypte 1798 – 1800, Le Caire , Institut Français d' Archéologie orientale, 1995, Vols. 3,4.

ثالثا : رسائل علمية غير منشورة :

١- أحمد اسماعيل السيد : البعثة العلمية للحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ – ١٨٠١م ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٥ .

٢- عبد الله خطاب هبالة : دور البحيرة في عهد الحملة الفرنسية (١٢١٣ – ١٢١٦هـ / ١٧٩٨ – ١٨٠١م) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب بدمنهور ، ٢٠٠٢م .

٣- فوزي السيد السيد المصري : تاريخ تعليم الطب والمؤسسات الطبية في مصر ١٨٢٧ – ١٨٨٢م ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة طنطا ، ١٩٨٦ .

٤- فوزي السيد السيد المصري : تاريخ الأوبئة والصحة العامة في مصر ١٨١٣ – ١٨٨٢ رسالة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة طنطا ، ١٩٨٩ .

٥- وجيه على أبو حمزة : القاهرة في عصر الحملة الفرنسية ١٧٩٨ – ١٨٠١ رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة المنيا ، ١٩٨١ .

رابعاً : دوريات :

Le Courrier de L' Egypte, Nos. 34, 38, 55 , 83 .

La Décade Egyptienne, No. 3 .

خامساً : مصادر ومراجع عربية ومعربة :

١- أحمد عزت عبد الكريم (دكتور) : تاريخ التعليم في مصر (عصر محمد علي) القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٨ .

٢- ج . كريستوفر هيرولد : بونابرت في مصر ، ترجمة فؤاد اندراوس ، مراجعة محمد أنيس ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ .

٣- جورجي زيدان : تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلي هذا العصر ، ج٢ ، ط٣ القاهرة ، مكتبة الهلال ، ١٩٢٥ .

٤- سمير عمر إبراهيم : الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ .

٥- رياض سوريال : المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة،مطبعة المحبة ، ١٩٨١ .

٦- عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، بيروت ، ط٢ ، دار الجيل ، ١٩٧٨ .

٧- عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، ج١ القاهرة ، دار المعارف ، ط ٦ ، ١٩٨٧ .

٨- ـــــــــــــ : تاريخ الحركة القومية: وتطور نظام الحكم في مصر، ج ٢ القاهرة ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٤٨ .

٩- عصمت محمد حسن : جوانب من الحياة الاجتماعية لمصر من خلال كتابات الجبرتي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٠- محمد شاهين : حالة مصر الصحية في الوقت الحاضر (ضمن كتاب حضارة مصر الحديثة) ، القاهرة المطبعة العصرية ، ١٩٣٣ .

١١- ميخائيل شاروبيم : الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ، ج ٤ ، القاهرة مطبعة بولاق ، ١٩٠٠ .

١٢- هنري لورانس وآخرون : الحملة الفرنسية في مصر – بونابرت والإسلام ، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة ، سيناء للنشر والتوزيع ، ١٩٩٥ .

سادساً : مراجع غير عربية :

١- Aubert . Roche , Louis : De La peste ou tuphus d'orient , Elibron classics, paris.

٢- ChabroI :Essai sur Les moeurs des habitans de L' Egypte (Déscription de L' Egypte , T.XV III, I er part , 2 em edition .) paris panckoueke, 1821 .

٣- Charles – Roux : Bonaparte gouverneur d' Egypte,paris , 1945.

٤- Déscription de L' Egypte , T.XV III, I er , 2 em part, 2 em edition,paris,panckoucke,1821.

٥- Désgénettes .R.N :Histoire Médicale de L' Armée d' Orient, Tome , П, paris ,1802.

٦- De La jonquière :L' expédition d' Egypte 1798 – 1801, paris, 4 vols, 1904.

٧- Jomard.M,: Déscription de la Ville et la citadelle du Caire , accompagnée de L' Explication des plans de cette ville et de ses environs et des renseiegnemes sur sa distribution , ses monumens, sa population , son commerce et son Industrie (Déscription de L' Egypte) T X V III ,2 em part, paris ,1821 .

٨- Lancret et chabrol . M.M : Mémoire sur Le Canal d' Alexandrie (Déscription de L' Egypte . T. X) paris , panckoucke ,1821 .

٩- Larrey,Le Baron.M: Mémoire et observation sur plusieurs maladies qui ont afttecté LesTroups de L'Armée FranÇais pendant L' Expédition d' Egypte et de Syrie , et qui sont endémiques dans ces deux Contrées (Déscription de L' Egypte)T. X V III, 2 em part,panckoucke , paris, 1821.

١٠- Reybaud : Histoire sciéntifique et Militaire de L' Expédition Français en Egypte , paris , 1836.

١١- Robert . k . D Peterson : The Napoleonic Compaigns & Historical perception (plague & The Syrien Campaign) , London , 1995 .

١٢- Rousseau . M F : kléber et Ménou en Egypte dépuis Le depart de Bonaparte, paris , 1900.

١٣- Sheldon Watts : Disease and Medicine in the world History, London,2003.

١٤- Thomas . G . Russell & others : Medicine Egypt at the time of Napoleon Bonaparte , Net site W.W.W. bmj .Com, December 2006 .

١٥- Thomas, walsh : journal of the late Campaign in Egypt , London , 1803 .

١٦- Volney . M C. F : voyage en Syrie et en Egypte, pendant les années 1783,1784 , 1785, paris, 3 em edition , Dugour et Durand Librairs .